# من بلاغة القرآن الكريم
# في سورة الرحمن عز وجل
# دراسة بلاغية

إعداد

د / منى محمد علي عيد آل الحسن عليه السلام

أستاذ البلاغة والنقد المساعد بالكلية

# الإهداء

إلى الله عزوجلّ حباً وشوقاً

إلى جدي رسول الله ﷺ حباً وشوقاً

إلى أهل العباءة عليهم السلام حباً وشوقاً

إلى أهل الله وآل بيت رسول الله ﷺ

حباً وشوقاً

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله الفتاح العليم،رب العالمين،ملهم البيان غذاء الروح،منزل القرآن على أطهر قلب ونفس وروح،حبيب الرحمن،أفصح إنسان،من نزل عليه الوحي بالمعجزة الخالدة في قوله : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (١)

من جعل الله شهادته قبل كل شهيد ، وعلى آله وصحبه الذين هدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط حميد .

سبحان الرحمن الرحيم،رب العرش العظيم،من منه الفضل والنعمة، والخير والبركة،لإسعاد البشر أجمعين في الدارين، بالمعين الذي لا ينضب، والتشريع الدقيق، بما في القرآن العظيم كل يوم جديد ، وإلى يوم الدين.

من أعجز جميع البشر بالحق المبين،المنهل العذب الصافي ، نسبح في جلاله، وكماله، وجماله، وبهائه،وضيائه،ينطق في كل حرف، وكلمة، وآية، وسورة، بأن للكون ربا معبودا،بالحب والإخلاص نصل إلى رب الوجود،ورسول اللهﷺ حبيب المعبود، فمعجزاته تتيه فيها العقول ، كل حرف،وكلمة،وآية ، وسورة تشهد بعظمة الواحد الأحد الحي القيوم قال تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٢)

والمعين الذي لا ينضب يدل على عظمة خاتم الأنبياء والمرسلين ،

---

(١) سورة العلق من آية رقم :١ :٥

(٢) سورة الإخلاص من آية : ١: ٤

من خصه الله عز وجل بالإجلال والتكريم ، والتعظيم ، وأسمى معاني الحب للرحمن الرحيم،ولخير خلق الله أجمعين،منذ بدء الخلق إلى ما شاء الله . لا قوة إلا بالله العلى العظيم ، صلى الله على سيدنا محمد وبارك وسلم ، رحمة الله للعالمين ، وعلى آله شريان السماء أهل الله وخاصته ، وعلى أصحابه الطيبين،من جاهدوا في الله حق جهاده،وعلى أزواجه الطاهرين أمهات المؤمنين، وعلى ذريته،ومن ساروا على النهج القويم،غرا محجلين، وعلى أمته خير الأمم أجمعين بقدر عظمة ذات الله في كل وقت وحين ...

وبعد :

فإن دراسة البيان بالمنهل العذب ترقق القلوب والوجدان،وتحيي الأبدان بإذن الرحمن،وتصل بالإنسان لرب البيان،وجنة الرضوان،مع خير الأنام ﷺ قال ﷺ :« خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ »[1]صدق سيدنا رسول الله ﷺ .

فقد تناولت في أبحاث سابقة بعضا من سور القرآن العزيز بالبيان والتحليل، لبيان إبداع استعمالات اللغة تكون من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية،ولتوضيح إبهار جمال اللغة العربية لغة القرآن الكريم،وللكشف عن بعض النكات واللطائف البلاغية، ففي القرآن الكريم المعية،وبإرادة الله عز وجل،وحوله وقوته،وفقني سبحانه لدراسة وبيان سورة من أرقى وأحسن سور القرآن الكريم وكله حسن راق،ألا وهي كما ورد في الأثر «عروس القرآن»[2] من

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ج٤ ص١٩١٩ حديث رقم ٤٧٣٩ ط : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت – الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م .

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان في التاسع عشر من شعب الإيمان هو باب في تعظيم القرآن تخصيص سور منها بالذكر . بسنده عن علي بن أبي طالب ﷺ بلفظ " سمعت النبي ﷺ يقول: لكل شيء عروس و عروس القرآن الرحمن". ج٢ ص٤٨٩ حديث رقم ٢٤٩٤ ط : دار الكتب العلمية – بيروت . الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ .

لها مثل جميع القرآن الكريم إيقاع أخاذ وتأثير في القلوب قبل الآذان ، وفي الأرواح قبل الأبدان، وفي النفوس قبل الفطام ، وفي الجوارح بالخشوع والتسبيح للملك الحق قبل البيان وبالأسوة الحسنة ﷺ تهيم القلوب شكرا لمن ملك الأرواح قبل القلوب .

عدد آياتها :

ثمان وسبعون،كل آية لها خصوصية وتأثير غير سابقتها،كل آية معجزة في البدء والختام، لبيان سر من أسرار التعبير في القرآن الذي لا تنته عجائبه ولا تنفد روائعه، تضاف إلى سابقتها من الآيات المتراصة في حبل الطاعة للسلام المؤمن ــ عز وجل ــ نغوص في لآلئها، ونتعمق في داخلها ونعيش جواهرها،وتأخذنا إلى السماء مقر النور والضياء، نستشعر حروفها،كلمها،ومعانيها،ونلتمس حب الله ــ عز وجل ــ ورضاه وحسن لقاه وحب سيدنا رسول الله ﷺ ،ورضاه وحسن لقاه، سورة مكية على رأي الجمهور من علماء ومفسرين، فيها آثار قدرة المهمين واضحة،تنبئ عن معانيها ، لها جرس ، ووقع ، ظل ، والتآم ، وتناسق بديع ، وتشريع محكم دقيق ؛ تجلى من خلال السورة المراد بالبيان رحمة الله للإنسان ؛ بالحب العظيم من الله الأعظم من كل عظيم لتشريف المحبين في الدارين قال تعالى :﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١) .

ويتبين لنا من هذه السورة عظيمة القدر أن العلم بالقرآن الكريم والبيان ضروريان ويكون ذلك من كنف الرحمن ــ عز وجل ــ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ . . . ﴾ (٢) .

ولأن العقل السليم ، والفكر القويم يحث على ذلك ، ومما دفعني للبحث في هذه السورة ذات الشأن العظيم مثلها مثل جميع آيات وسورة القرآن الكريم .

١ــ أنها سورة جليلة القدر بدأت بأعظم ذكر في الوجود (الرحمن ،

---

(١) سورة الشورى آية رقم : ١١ .

(٢) سورة الفتح آية رقم : ١٠ .

علم القرآن فذكر الله الرحمن في القرآن عدد ست وخمسين مرة وأنه جل وعلا خلق الإنسان علمه البيان .

٢ــ أنها تحدثت في قضية هامة وهى التذكير بنعم المنعم ــ عز وجل ــ خاصة وأنها قضية في الدين،ومن أعلى مراتبها، وأرقي مناسكها وأقصى مراقيها إنعامه سبحانه بالقرآن الكريم ، وتعليمه لأنه أعظم وحى الله ؛ وأسمى رتبه ، وأعلى منزلة ، فالقرآن الكريم سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها [١] . ولا يقدم على الحي القيوم قال تعالى ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٢]

٣ــ فتحت السوَّرة الكريمة صحائف الوجود الناطقة بآلاء الله الباهرة الجليلة وآثاره العظيمة التى لا تحصى ؛ وتُرى وتُسمع ، والعقل المدبر يُفكر في الشمس ثم القمر ، والنجوم ، والشجر، السماء المرفوعة بلا عمد وما فيها من عجائب الكون ، وغرائب الصنعة ، وإحكام التدبير لله وحده لا شريك له على غير مثال سابق ، وكذا الأرض وما فيها من زروع وثمار ، أفلاك وبحار ، ثم الحديث عن صفحة الوجود المنظور[٣] .

٤ــ وصف حال البشر من متقين وغيرهم ، في أتم بيان وأحسن تفصيل وأجمل تعبير .

ــ في السوَّرة توافق الألفاظ، واتحاد المعاني،والأخبار الغير معلومة من قبل بفائدة الخبر، وما فيها من إيجاز وكذا تفصيل أحياناً بلا إخلال ولا تطويل ، ومنطق قوى سليم .

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٤٣/٤ بتصرف .

(٢) سورة العنكبوت من الآية : ٤٥.

(٣) صفوة التفاسير ٢٧٤/٣ بتصرف .

٦ــ أعجز العرب وغيرهم عن الإتيان بمثل أصغر سورة في القرآن معلوم بالضرورة[١]،خارقاً للعادة ،كل ما ورد به طاعة وعبادة لخيري الدارين .

٧ــ القرآن الكريم وما فيه من بلاغة وبراعة،إجمال وتفصيل، تقديم وتأخير ، تعريف وتنكير وفاصلة قرآنية في ظل التناسب والانسجام والاتساق يتولد الإيقاع ، وعندئذ تكتسب الأشياء جوهرها [٢] .

٨ ــ بيان أن العدل لكل البشر تحث عليه كل سور وآى القرآن العظيم إلى ما شاء الله العلى العظيم وخاصة سورة(الرحمن) عز وجل لكل من أراد الله له الخير إلى ما شاء الله يتساوى في ذلك الإنس والجن بالتنبيه على إقامة العدل .

٩ــ الحرص الشديد على العمل بكل ما ورد في القرآن الكريم ، والسنة النبوية فالعدل أساس الملك والله عز وجل الملك الحق .

وقد جاء البحث على النحو التالي :

١ـ التمهيد : ويشمل اسم السوَّرة ومناسبتها لما قبلها في الترتيب النزولي والمصحفي ، ومكان نزولها ، عدد آياتها ، مقاصدها والأسلوب المستخدم في قرائتها ومعنى الفاصلة القرآنية ، ووظيفتها، وآراء العلماء والمفسرين فيها وسر جمالها، وإبداعها،وإعجازها كل ذلك في أسلوب واضح بين لا لبس فيه واستعمال الكلمة لبنائها ووزنها وجرسها، وظلها ، ونمطها العجيب وتأثيرها البديع ، وإحكامها الرائع .

---

(١) إعجاز القرآن الكريم للقاضي عياض ص١٣ بتصرف .

(٢) الأسس الجمالية للإيقاع البلاغى ص٢٠ بتصرف .

٢ـ البيان في السورة وفق المنهج التالي :

أ ــ ربط الآيات بعضها ببعض مرتبة في مواضعها .

ب ــ خصائص الحروف والكلمات والجمل بالشرح والتفصيل والتعليل والقصص القرآني ، وبيان وجه مناسبتها ، وما فيها من عبر وعظات ، وإحكام للبيان ، ومعانٍ جديدة وأخبار بديعة لها فائدة وأجل الأثر في حياتنا ، مع إعجاز رهيب يأخذ القلوب والعقول بسحر البيان وما فيه من تدبر وإمعان ، مع اتصال كل السورة ليس فيها عروة مفصولة بل كلها موصولة مع ترابط دقيق .

ج ــ ذكرت اللفظة القرآنية وكيفية اختيار كلمها وتلاحمه وتلازمه مع قوة دامغة ، وقول فصل ، وجوهر صافٍ ، وطبع سليم ، ومنزعٍ قويٍّ موضحة كل ذلك بالنقل والتأويل والبيان والتوضيح،والشرح، واللطائف، والنكات التي تثرى البلاغة العربية، مع الاتساق والترابط ؛ والتلاحم ، والموسيقى ، والجرس .

د ــ المعاني البلاغية ، ووجه تمكنها ، مع حسن تأديتها للجمل وذلك بالتزام الدقة ، وعذوبة اللفظ ، وبراعة البيان مع إعجاز تام للبيان مثل كل سور القرآن الكريم لرسول عظيم صلي الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .أكمل من كل العالمين،اختصه سبحانه ــ بالمعجزة الخالدة قال تعالى :﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1] وقال تعالى:﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[2].

وذكرت بعض اللطائف مستعينة بالله ومتوكلة عليه سبحانه أن تؤتى

---

(١) سورة الحجر آية رقم : ٩ .

(٢) سورة الرحمن آية رقم : ٤٦ .

أكلها كل حين بإذن ربها فما كان من توفيق فمن الله وحده لا شريك له بفضله وكرمه وآلائه التي لا تعد ولا تحصى ، ببركة الله وسيدنا رسول الله صلي الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

وما غير ذلك فحسبي الاجتهاد ، والله أرجو حسن الثواب ورضا رب العباد، وسيدنا رسول الله صلي الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أحن وخير خلق الله أجمعين منذ بدء الخلق إلى يوم الدين والله أسأل سبحانه – نعم المولى ونعم النصير قال تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[1] .

هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن،الرحيم الملك،القدوس،السلام، المؤمن،المهيمن،العزيز،الجبار،المتكبر،الخالق،البارىء،المصور، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلي ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوي ، المتين ، الولي ، الحميد ، المحصى ، المبدىء ، المعيد ، المحيي ، المميت ، الحي ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الأحد، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالي ، المتعالي ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك ، الملك ، ذو الجلال والإكرام ، المقسط ، الجامع ، الغني ، المغنى ، المانع، الضار ، النافع ، النور ، الهادي ، البديع ، الباقي ، الوارث ،

---

(١) سورة الرحمن آية رقم : ٢٩ .

الرشيد ، الصبور" .

سبحانه وتعالى جل جلاله وتقدست أسماؤه لا إله إلا الله سيدنا محمد صلي الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم رسول الله صلي الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

قال تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1] .

أ.م / منى محمد على عيد
أ.م / البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج .

---

(١) سورة التوبة آية رقم : ١٠٥ .

# تمهيد

سورة (الرحمن) متفق على اسمها في جميع المصاحف ، وكتب السنة ، وسميت في حديث أخرجه البيهقي عن سيدنا علي كرم الله وجهه مرفوعاً "عروس القرآن"[1].

وهى مكية، وقيل مدينة[2] وهى السوَّرة الخمس وخمسون في الترقيم المصحفى، وموضوعاتها نعمة الدين؛ وإنعامه — عز وجل — بالقرآن الكريم وتنزيله وتعليمه[3].

وقيل: كلها مكية إلا آية منها هى قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . . .﴾[4]

نزلت بعد سوَّرة الرعد ، بعدها سورة الإنسان منسقة المعاني ، مرصوفة المباني ، بها تأثير بديع ، ونسق عجيب ، وبيان رائع وسميت ( عروس القرآن ) لأنها سورة بديعة جليلة تعالج أصول العقيدة الإسلامية فهى كالعروس بين سائر السور الكريمة ، ولهذا وردت في الحديث الشريف (لكلّ شىء عَرُوس، وعروس القرآن سورة الرحمن)[5].

**عدد آياتها :**

ثمان وسبعون آية في الكوفى والشامى،وسبع وسبعون في الحجاز،

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٥٨/١ ، والحديث سبق تخريجه .

(٢) الكشاف للزمخشرى ٤٣/٤ ، روح المعاني للألوسي ٢٧ / ٢٩٦ الإتقان في علوم القرآن ٢٧ /٩٦ ، التفسير المنير ٢٧ /٩٩ .

(٣) الإتقان في علوم القرآن ٢٧/١ .

(٤) سورة الرحمن من الآية : ٢٩ .

(٥) الحديث سبق تخريجه .

وست وسبعون في البصرى[1] .

وقيل : اسمها الرحمن لأنها الحاوية لما فيه من حلى وحلل وجواهر والعروس بجميع النعم ، والجمال والبهجة من نوعها والكمال[2] .

وقيل : الرحمن فتح سبحانه وتعالى المتجلى بتلك الصفة من صفاته الكريمة وهى الرحمة التى هى اللطف السارى في هذا الوجود ، والنور الهادى لكل موجود[3] .

كلماتها ثلاثمائة وأحدى وخمسون ، وحروفها ألف وثلاثمائة وست وثلاثون المختلف منها خمس آيات[4] .

وفي السورَّة المعجزة يظهر أمر الدين وأنه من أجل وأعظم النعم على الإنس والجن معاً ، ولذلك يظهر التحدى ، وبأن الأنس والجن لن يستطيعا إلا أن يعترفا بالعجز الكامل أمام قوة رهيبة ليست من صنع البشر وإنَّما قدرة من نوع خاص غير متعارف عليه في البشر قدرة (الرحمن الرحيم ) قال تعالى : ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[5]

**وجه مناسبتها لما قبلها :**

قال تعالى : ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴾[6] وصف سبحانه حال المتقين وغيرهم ففي حال المتقين فصل الإجمال أتم تفصيل ، وقيل في سبب نزولها بأنه لما نزل ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ . . . ﴾[7] قالو

---

(١) الكشاف ٧٦/٤ .

(٢) نظم الدرر ٢٧١/٧ .

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٣١٢/٥ ، ٣١٣ .

(٤) بصائر ذوي التمييز ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ .

(٥) سورة الذاريات آية رقم : ٢١ .

(٦) سورة القمر آية ٤٦ .

(٧) سورة الفرقان من الآية : ٦٠ .

ما نعرف ما الرحمن فأنزلت السورة[1] .

روى عن عروة بن الزبير ﷺ قال : أول من جهر بالقرآن بمكة بعد سيدنا رسول الله ﷺ ابن مسعود ، وذلك أن الصحابة قالوا : ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر به قط فمن رجل سمعوه ؟ فقال ابن مسعود : أنا فقالوا : إنَّا نخشى عليك ، وإنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه ، فأبى ثم قام عند المقام فقرأ : " بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾[2] ثم تمادى رافعاً بها صوته ، وقريش في أنديتها فتأملوا وقالوا : ما يقول ابن أم عبد ؟ قالوا : هو يقول الذي يزعم محمد أنه أنزل عليه ؛ ثم ضربوه ، حتى أثروا في وجهه ، وصح أنّ النبيّ ﷺ " قام يصلي الصبح بنخلة فقرأ سورة ( الرحمن ) ، ومرّ النفر من الجن فآمنوا به"[3] .

وقيل : ﴿بسم الله﴾ الذي ظهرت إحاطة كماله ، بما ظهر من عجائب مخلوقاته ؛ ﴿الرحمن﴾ الذي ظهر عموم رحمته ، بما بهر من بدائع مصنوعاته ؛ واشتهر من عظيم آياته وبيناته ﴿الرحيم﴾ الذي ظهر اختصاصه لأهل طاعته بما تحققوا به من الذل المقيد للعز بلزوم عبادته[4] .

لما ذكر سبحانه نعمة من أجل النعم على البشر هي القرآن الكريم الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[5] فابتدأ سبحانه بأجمل بداية بـ ( الرحمن ) جل وعلا وحده لا شريك

---

(١) التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط ١٨٦/٨ .

(٢) سورة الرحمن آية رقم : ١ ، ٢ .

(٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ٢٧ / ١٩١ .

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج٧ ص٣٧١ .

(٥) سورة فصلت آية رقم : ٤٢ .

له الذي أنعم على الثقلين بأتم النعم التى علمناها والتى لا نعلمها ويعلمها الله عز وجل ، لأن الثقلين متلازمان قيل : لأن الثقلين كتاب الله عز وجل وهو الثقل الأكبر والعترة وهى الطرف الأصغر وقد أوصى سيدنا رسول الله ﷺ فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا [1] وبذلك إكمال الدين فالمعجزة الخالدة الباقية على مر الزمان تشهد لله ــ عز وجل ــ بأنه أعظم من كل عظيم رب رحمن رحيم ، حنان ، منان ، بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام ــ عز وجل ــ عال وفي علوه قريب ، من يتوكل عليه فهو حسبه ، ومن التجأ إليه نجا وسَعِدَ في الدارين ، والقرآن الكريم من أتم وأكمل النعم في الدين بعد معرفة الله – عز وجل – في آلائه المذكورة في سورة الرحمن بداية من خلق الإنسان وتعليم القرآن، ؛ خلق الإنسان علمه البيان ، فالقرآن والبيان ضروريان في الدين ، من أتم ، وأدوم ، وأنفع ، وأحسن ، وأولى ، وأجل وأليق ، وأبهى ، وأشرف النعم على الإنسان ولا يكون ذلك إلا بالله ــ عز وجل ــ سبحانه واجب التحميد، والتمجيد ، والتهليل ، والتكبير فالبدء بالله عز وجل ( الرحمن ) فيه من التعظيم لشأن ما يتلى ما لا يخفى ، كما أن السورة كالشرح لآخر السورة قبلها[2] .

**ولسورة الرحمن فوائد عدة نذكر منها :**

١ــ أن من قرأها أدى شكر ما أنعم الله – تعالى – عليه [3] .

٢ــ قيل : مَنْ قرأ سورة ﴿ الرّحمن ﴾ رحم الله ضعفَهُ، وأدّى شكر

---

(١) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب ٤ حديث ٣٦ بلفظ : " أنا تارك فيكم الثقلين " ص٤٢٣ ج١٨ صحيح مسلم ط : دار الكتب العلمية ط : الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٤م

(٢) الكشاف ٤/٩٧ .

(٣) تفسير البيضاوي ٢/٥٣٤ .

ما أنعم الله عليه . وقال ﷺ : يا علي ، مَنْ قرأها فكأنّما أعتق بكلّ آية في القرآن رَقبة ، وله بكلّ آية قرأها مثلُ ثواب امرأة تموت في نفاسها[1] .

٣ــ في السورة من عجائب صنع الله من استخراج اللؤلؤ والمَرْجان... الخ،[ ورحمة الرّحمن ] الحي الباقي الدائم أولٌ بلا بداية ، وآخر بلا نهاية ، وقضاءِ حاجات المحتاجين[ من الله عز وجل الواحد الأحد ]، وأن لا نجاة للعبد من الله إلاّ بحجّة وبرهان[2].

٤ــ ما روى عن الترمذي والحاكم عن جابر قال لنا :قرأ رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى فرغ قال : " مالي أراكم سكوتاً ! للجن كانوا أحسن منكم رداً ما قرأت عليهم من مرة [ فبأي آلاء ربكما تكذبان ] إلا قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد[3] .[ ونحن نقول ولا بشئ من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد ].

٥ــ وهذه السورة ذات نسق خاص ملحوظ ، إنها إعلان عام في ساحة الوجود الكبير ، عن آلاء الله الباهرة الظاهرة ، في جميل صنعه ، وإبداع خلقه ؛ وفيض نعمائه؛ وتدبيره للوجود وما فيه ؛ وتوجه الخلائق كلها إلى وجهه الكريم ، والسورة إشهاد عام للوجود كله [ بأن الله الواحد الأحد الحي القيوم حي دائم باق في كل وقت وحين ، على مشهد ومسمع ومرأى ] على مشهد من كل موجود ، مع تحديهما إن كانا يملكان التكذيب بآلاء الله، تحدياً يتكرر عقب بيان كل نعمة من نعمه التي يعددها ويفصلها ، ويجعل الكون كله معرضاً لها ، وساحة الآخرة كذلك .

ورنة الإعلان تتجلى في بناء السورة كلها ، وفي إيقاع فواصلها . .

---

(١) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز ص٤٤٨ ، ٤٤٩ .

(٢) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز ص٤٤٦ : ٤٤٩ بتصرف .

(٣) الإتقان في علوم القرآن ٣٣/١ .

تتجلى في إطلاق الصوت إلى أعلى ، وامتداد التصويت إلى بعيد؛ كما تتجلى في المطلع الموقظ الذي يستثير الترقب والانتظار لما يأتي بعد المطلع [ البدء ] من أخبار [ الرحمن ] كلمة واحدة ، مبتدأ مفرداً الرحمن كلمة في معناها الرحمة ، وفي رنتها الإعلان ، والسورة بعد ذلك بيان للمسات الرحمة ومعرض لآلاء الرحمن[1] .

---

(١) في ظلال القرآن ٦/٣٤٤٥ .

# البيان في سورة الرحمن

قال تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾[1] قيل فاتحة ثلاث سور إذا جمعن كن اسماً من أسماء الله تعالى ﴿ الر ﴾ ﴿ حم ﴾ ﴿ ن ﴾ فيكون مجموع هذه السور الرحمن [2]

افتتح السورة سبحانه ببراعة الاستهلال[3] والسورة محكمة[4] بدأ السورة الكريمة مخبراً ــ سبحانه ــ عن فضله ورحمته بخلقه[5].

**مناسبة السورة لما قبلها:**

١ــ أن الله افتتح السورة المتقدمة بذكر معجزة تدل على العزة والجبروت والهيبة وانشقاق القمر فإن من يقدر على شق القمر يقدر على شق الجبال وقد الرجال ، وافتتح هذه السورة بمعجزة تدل على الرحمة والرحموت وهو القرآن الكريم فإن شفاء القلوب بالصفاء عن الذنوب .

٢- أن في السورة المتقدمة قال تعالى ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ [6] غير مرة وذكر في هذه السورة قوله تعالى ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[7] مرة بعد مرة لما بينا أن تلك السورة سورة إظهار الهيبة ، وهذه السورة

---

(١) سورة الرحمن آية رقم : ١

(٢) الجامع لأحكام القران للقرطبي ٧/ ١٥٢.

(٣) التحرير والتنوير ٢٧ /٢٣٠.

(٤) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز ص ٤٤٦ : ٤٤٩ بتصرف .

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٢٧٠.

(٦) سورة القمر آية : ١٦، ٢١ ، ٣٠.

(٧) سورة الرحمن الآيات : ١٣ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ .

سورة إظهار الرحمة ثم إن أول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها حيث قال في آخر تلك السورة ﴿ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [1]

والاقتدار إشارة إلى الهيبة والعظمة ، وقال ههنا ﴿الرَّحْمَنُ﴾ أي عزيز شديد منتقم مقتدر بالنسبة إلى الكفار والفجار ، رحمن ، منعم ، غافر للأبرار . [2] .

لما ذكر ــ سبحانه ــ مقر المجرمين في ضلال وسعر ، ذكر مقر المتقين في جنات ونهر ، ذكر شيئاً من آثار الملك والقدرة ، ثم ذكر مقر الفريقين على جهة التفصيل ، إذ كان في آخر السورة ذكره على سبيل الاختصار والإيجاز ، ولما ذكر قوله : ﴿ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ فأبرز هاتين الصفتين بصورة التنكير الذي يفيد التعظيم فكأنه قيل من المتصف بذلك فقال : ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾[3]

﴿الرَّحْمَنُ ﴾ :افتتح سبحانه المتجلي بتلك الصفة من صفات الكريمة ، وهي الرحمة التي هي اللطف الساري في هذا الوجود والنور الهادي لكل موجود[4].

كما أن البداية باسم الله ــ عز وجل ــ المشتق من الرحمة تطمئن به القلوب ، وتهدأ النفوس ، وتصغي الآذان لسماع ما يلقي من بيان ، وهكذا جميع القرآن العظيم ، وفي قوله عز وجل﴿الرَّحْمَنُ﴾ ثلج للقلوب ، وشرح للصدور بمعرفة التوحيد ، والعلم ، وما يتبع ذلك من الدرجة

---

(١) سورة القمر آية :٥٥ .

(٢) تفسير الفخر الرازي المجلد الخامس ٨٣/٢٩.

(٣) سورة الرحمن آية رقم : ١ ، ٢ .

(٤) التفسير المنير ١٩٥/٢٧ .

الرفيعة ، والثواب الجزيل[1].

وقيل : لأن السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والأخروية صدرها بـ ﴿الرَّحْمَنُ﴾[2].

وهو – سبحانه – اسم علم لله لقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[3].

وقيل: يا ﴿الرَّحْمَنُ﴾ أي: يا الله بجواز ذلك،أما مع الألف واللام اسم علم .

وقيل:الحق فيه أحد القولين:إما أن نقول: إله اسم لموجد الممكنات اسم علم ، ثم استعمل مع الألف واللام كما في الفضل والعباس والحسن والخليل، وعلى هذا فمن سمي غيره إلهاً فهو كمن يستعمل في مولود له فيقول لابنه محمد ، وأحمد من عداه تحت أمره فإذا استأثر لنفسه – عز وجل – اسماً لا يجوز للعبادأن يتسموا بذلك ، ولما امتنع المعنى عن غير الله امتنع الاسم،فقد يسمى الشخص بالكريم،والودود،ولا يجوز تسميته بالخالق،والقديم،واسم المعبود ــ سبحانه ــ من هذا القبيل فلا يجوز التسمية به[4].

ولما ذكر سبحانه ﴿الرَّحْمَنَ﴾ اختصاص بالله تعالى [5].

وقدم ﴿الرَّحْمَنَ﴾ للأهمية التي تفيد التعظيم والإجلال والتكريم

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٦/٣٤٤٥ .

(٢) تفسير البيضاوي ٢/٥٢٨.

(٣) سورة الإسراء آية : ١١٠.

(٤) الفخر الرازي ٢٩ / ٨٣ ، ٨٤ المجلد الخامس عشر .

(٥) المرجع السابق ٢٩ / ٨٤ .

والاستعانة والتبرك بذكر المنعم ــ عز وجل ــ؛ وقيل ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ولم يقل ﴿الله﴾لأن الله والرحمن في حق الله تعالى كالاسم الأول والوصف الغالب الذي يصير كالاسم بعد الاسم الأول قال تعالى [ لا إله إلا الله محمدٌ رسولُ الله ] كما في قولنا : عمر الفاروق ، وعلى المرتضى وموسى الرضا ، وغير ذلك مما نجده في أسماء الخلفاء وأوصافهم المعرفة لهم التي كانت لهم وصفاً ، وما زالت لهم وصفاً ، فللرحمن اختصاص بالله تعالى[1].

وقيل :ارتفاع ﴿الرَّحْمَنُ﴾ على أنه مبتدأ وما بعده من الأفعال أخبار له ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف:أي الله الرحمن[2] .

وقيل:﴿الرَّحْمَنُ﴾ مبتدأ ، وهذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترادفة ، وإخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد ، كما تقول : زيد أغناك بعد فقر، أعزك بعد ذل ، كثرك بعد قلة ، فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد ، فما تنكر من إحسانه[3] .

وقيل : يا رحمن الدنيا ، ورحمن الدنيا والآخرة وذلك بتعلق القلب بتعليم البيان ، وذلك بتعليم القرآن الكريم الذي به الرحمة في الدنيا والآخرة وبحب الرحمن ، وحبيب الرحمن وآل بيت رسول الله ﷺ من أنزل عليه القرآن فيكون ذلك مقدمة للآخرة ، وقدم الرحمة لتقدم رحمة الدنيا ، ولأنه صار كالعلم لأنه سبحانه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها .

---

(١) الفخر الرازى ٢٩ /٨٤ .

(٢) فتح القدير ١٧٤/٥ ، صفوة التفاسير ٢٧٦/٣ .

(٣) الكشاف ٤٣/٤ .

وقيل : في قوله عز وجل ﴿ الرحمن ﴾ دل على جلائل النعم وأصولها لذا يذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والردف ، أو للمحافظة على رؤوس الآي[1] .

وقيل : رحمن الدنيا ورحيمهما .

وقيل : الرحمن من أبنية المبالغة ، إمَّا لآلائه أو لتحصيل المناسبة ، أو لتحصيل المناسبة بين المنقول والمنقول إليه باللزوم لعدم الاكتفاء فيها بمطلق الفعلية ، ولأن صفة الرحمة في الله - سبحانه - كسائر صفاته الحسنى وهى بمشيئة الله ، ومعاذ الله أن تقاس صفات الخالق المنعم بصفات المخلوقين وأين الصلصال من خالقه رب الأرباب ، عظيم الجناب ، ومن العلماء من جعل الرحمة مجازا نزعة اعتزالية قد حفظ الله تعالى منها سلف المسلمين وأئمة الدين فإنهم أقروا ما ورد على ما ورد وأثبتوا لله تعالى ما أثبته له نبيه ﷺ من غير تصرف فيه بكناية أو مجاز وقالوا لسنا أغير على الله من رسوله لكنهم نزهوا مولاهم عن مشابهة المحدثات ثم فوضوا إليه - سبحانه - تعيين ما أراده هو أو سيدنا رسول الله ﷺ من الصفات المتشابهات.

والأشعري إمام أهل السنة ذهب في النهاية إلى ما ذهبوا إليه من التمسك بكتاب الله وسنة سيدنا رسول الله ﷺ وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان عليه أحمد بن حنبل - نضر الله وجهه ورفع درجته - فما نقل عنه من تأويل صفة الرحمة إما غير ثابت أو مرجوع عنه والأعمال بالخواتيم[2] .

[ والله أعلم نحن معتصمون بالله ورسول الله والقرآن الكريم والسنة

---

(١) روح المعانى ١/٥٩ .

(٢) المرجع السابق ١/٦٠ بتصرف .

المطهرة ].

﴿الرَّحْمَنُ﴾ الفاصلة في الآية القرآنية هي معنى الآية ؛ وتكون الفاصلة بالميم والنون ، وحروف المد ، وقد ورد التعريف القرآني على نهج العرب ، والفاصلة تأتى متمكنة في موضعها ، مستقرة في مكانها غير قلقة ولا نافرة ، يتعلق معناها بمعنى الآية ومعاني الآيات جميعاً من حيث الترابط ، والقوة ، البيان ، والدلالة ، ولو طرحت لاختل معنى الآية ينقص بنقصانها ، والفاصلة القرآنية تشعر السامع بها قبل النطق بها لتمكنها فضل تمكن .

روى عن زيد بن ثابت ﷺ أنه قال : املى عليّ رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾[1]، فقال معاذ بن جبل ﷺ ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[2] . فضحك سيدنا رسول الله ﷺ فقال له معاذ ﷺ مم ضحكت يا رسول الله ؟ قال: بها ختمت[3].

وأخرج ابن أبي حاتم عن أنس ﷺ قال : قال عمر يعني ابن الخطاب

---

(١) سورة المؤمنون من الآيات :١٢ : ١٤ .

(٢) سورة المؤمنون من الآية : ١٤.

(٣) سورة المؤمنون من الآية : ١٤ ، الإتقان في علوم القرآن ٢/ ١٠١ . والحديث ذكره صاحب المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني كتاب التفسير باب سورة ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ ج١٥/ص٦٦، ط : دار العاصمة/ دار الغيث – السعودية – ١٤١٩هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز .

ﷺ وافقت ربي في أربع نزلت هذه الآية ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ... ﴾ الخ فقلت أنا ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ فنزلت ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾[1] [2] .

وقيل : علم جبريل عليه السلام .

وقيل : علم سيدنا محمد ﷺ .

وقوله ﴿ علم الإنسان ﴾ قيل : إنه أولى لعمومه ( أى عموم اللفظ ) ولأن قوله ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾ دال على الله ــ عز وجلَّ ــ ، وقيل العلامة والآية المعتبر بها علامة النبوة ومعجزة لسيدنا رسول الله ﷺ قال تعالى ﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾[3] .

قدَّم سبحانه ﴿الرَّحْمَنُ﴾ على قوله عز وجل ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ لأن لله سبحانه رحمتان سابقة ولاحقة ، فالسابقة التي بها خلق الخلق ، واللاحقة التي أعطى بها الخلق ، لهذا يقال : رحمن الدنيا ، ورحيم الآخرة ، لأنه خلق الخلق أولاً برحمته ، فلما لم يوجد في غيره هذه الرحمة ولم يخلق أحد أحداً لذا لم يجز بغيره أن يقال ﴿ الرَّحْمَنِ ﴾، ولما تخلق الصالحون من عباده ببعض أخلاقه على قدر الطاقة البشرية ، فمن

---

(١) سورة الرحمن آية : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ . سورة المؤمنون من الآية : ١٤.

(٢) ذكره صاحب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ،لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ج١٢ص٢٤٩،دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت -١٤١٩هـ-١٩٩٨م الطبعة: الأولى تحقيق: محمود عمر الدمياطي،وانظر: تاريخ المدينة المنورة تأليف: أبي زيد عمر بن شبة النميري البصري ج٢ص٤٩ ط:دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

(٣) سورة القمر آية : ١ .

عباد الله – تعالى – من أطعم الجائع وكسا العاري ، وجد شيئاً من الرحمة اللاحقة التي بها الرزق والإعانة .

قدم ﴿ الرَّحْمن ﴾ على تعليم القرآن الذي هو شفاء للقلوب ، قيل : لأنه مرفوع على الابتداء وعلم القرآن خبر ، وذكر تعليم القرآن ولم يذكر المعلم ذكره بعد قوله خلق الإنسان وذلك ليُعلم أنه المقصود بالتعليم، وخلق الإنسان من أجل الدين ، وتعليمه القرآن كالسبب في خلقه ، فقدم على خلق الإنسان وذكر الوصف المتميز به الإنسان ، وهو المنطق المفصح عن الضمير والذي به قبول التعليم وهو البيان[1] .

﴿عَلَّمَ ﴾ متعدّية إلى اثنين ، حذف أولهما لدلالة المعنى عليه ، وهو سيدنا جبريل ﷺ ، وقيل سيدنا رسول الله ﷺ ، وقيل : الإنسان ، وذكر الفخر الرازي أن المحذوف هو المفعول الثاني ، وترك المفعول الثاني لأن النعمة في التعليم ، لا في تعليم شخص دون شخص ، وتعليم القرآن جعل علامة وآية يعتبر بها ، وكلها أخبار مترادفة عن الرحمن سبحانه ؛ وفيه دلالة على تفضيل الإنسان على غيره أى سائر الحيوان [2] بالمنطق الفصيح المعرب عما في الضمير [3] .

فمن قال آدم ﷺ يكون البيان اسماً لكل شئ قال تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلآئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[4] .

---

(١) البحر المحيط ١٨٦/٨ بتصرف .

(٢) المرجع السابق ١٨٨/٨ بتصرف .

(٣) روح المعانى ٢٧ / ٩٨ ، ٩٩ .

(٤) سورة البقرة آية : ٣١ ، ٣٢ .

وقيل : علم الدنيا والآخرة ، وقيل : علم بالاسم الأعظم كل شئ أقوال ولغات كثيرة أفضلها العربية ، أو الاسم الأعظم الذي علم به كل شيء ، أقوال ، آخرها منسوب لسيدنا جعفر الصادق ﷺ .

ولما ذكر تعالى ما أنعم به على الإنسان من تعليمه البيان ، ذكر ما امتن به من وجود الشمس والقمر،وما فيهما من المنافع العظيمة للإنسان، وذلك لجريانهم على حساب معلوم وتقدير سوي في بروجهما ، ومنازلهما ، والحسبان مصدر كالغفران ، وهو بمعنى الحساب .

وقيل : في طلوعهما وغروبهما وقطعهما البروج ، حسابات شتى ، وقال ابن زيد : لولا الليل والنهار لم يدر أحد كيف يحسب شيئاً أي من مقادير الزمان .

وقيل : إنها من العلامة أى جَعَله آية وعلامةً وآيةً يُعْتَنى بها، ولشِدَّةِ الوصلِ تَرَكَ العاطفَ ، والظاهر أنها أخبارٌ[1] وذلك قوله : ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾[2] .

وسمى القرآن فرقاناً لأنه يفرق بين الحق والباطل ، فصح إطلاق البيان وإرادة القرآن[3] .

وهنا أطلق الكل وأراد الجزء مجاز مرسل علاقته السببية وذلك أن البيان مسبباً عن القرآن ، ولولا القرآن لم يكن بيان ، وقدَّم المسند إليه إمَّا للتأكيد أو الحق ، وفيه من لعظيم شأن القرآن ما فيه[4] .

﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ الذي فيه بيان كل شئ، وقيل الإنسان ههنا آدم ﷺ ،

---

(١) الدر المصون في علم الكتاب المكنون ٦/٢٣٥ .

(٢) روح المعاني ٢٧ / ٩٩ .

(٣) الفخر الرازي ١/٨٦ .

(٤) الكشاف ٤/٤٤ .

ويجوز أن يكون الإنسان اسماً لجنس الناس جميعاً ، ويكون على هذا المعنى علمه البيان جعله مميزاً حتى انفصل الإنسان من جميع الحيوان[1] .

وقيل : الحسبان الفلك المستدير ، شبهه بحسبان الرحى ، وهو العود المستدير الذي باستدارته تستدير المطحنة .

وارتفعت الشمس على الابتداء وخبر بحسبان ، إما محذوف ، أي جري الشمس والقمر كائن بحسبان . أو محذوف على تقدير يجريان بحسبان ، وبحسبان متعلق بيجريان[2] .

وقيل : علم القرآن أي يسره .

وقيل : علمه سيدنا رسول الله ﷺ وسيدنا رسول الله ﷺ علمه أمته .

وقيل : علامة لما يعبد أى الله المعبود ، وقدم النعمة التي هي أجلها قدراً وأكثرها نفعاً وأتمها فائدة وأعظمها عائدة وهي نعمة تعليم القرآن فإنها مدار سعادة الدارين وقطب رحى الخيرين وعماد الأمرين ثم امتن بعد هذه النعمة الجليلة بنعمة الخلق التي هي مناط كل الأمور ومرجع جميع الأشياء[3]، وأشرفه منزلة عند أوليائه وأصفيائه وأكثره ذكراً ، وأحسنه في أبواب الدين أثراً وهو سنام الكتب السماوية المنزلة على أفضل البرية ﷺ[4] .

قيل : صرح بذكر المفعولين في [علمه البيان] ولم يصرح بهما في [علم القرآن] إما المراد من قوله [علم القرآن] أي علم الإنسان القرآن ، فحذفه لعظم نعمة التعليم ، ثم فصل بيان كيفية تعليم القرآن ،

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ص ٩٥.

(٢) البحر المحيط ١٨٨/٨ بتصرف.

(٣) فتح القدير ١٧٤/٥ بتصرف .

(٤) صفوة التفاسير تفسير القرآن الكريم ٢٧٦/٣ .

فقال: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ وأما المراد ﴿عَلَّمَ الْقُرْءَانَ﴾ الملائكة فلأن المقصود تعديد النعم ومطالبته بالشكر ومنعه من التكذيب به ، وتعليمه للملائكة لا يظهر للإنسان أنه فائدة راجعة إلى الإنسان[1] .

[ وإن كان في ذلك ما لا يخفى فتعليم الملائكة المأمورين به بالتسبيح والذكر والتحميد والاستغفار للبشر فيه من النفع العميم ، والخبر الوفير للبشرية جميعاً من المؤمنين الصالحين ، وفيه بيان محبة الله للعبد وتفضيله على من عداه من المخلوقات ، وفيه من رحمة الله بعباده حتى إن الله - سبحانه - أرحم علينا منا بنا ، ففيه من النفع والحب والخير ما لا ينكر ].

وليس هناك تعارض في الأقوال ، وتعليم الإنسان نعمة ظاهرة تقديراً للنعم عليه[2] .

[ وفيه من الرحمة بالإنسان والحب من خالق الأكوان الرحمن الرحيم بهداية الإنسان إلى الطريق المستقيم ، وبيان ما ينفع وما يضر ، وما يؤمر به ، وما ينهى عنه وذلك حباً من الله - عز وجل - لجميع المخلوقات وخاصة الإنسان ]، قيل: ومثل هذا قوله تعالى﴿اقْرَأْ﴾ قال: ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ من غير بيان المعلم، ثم قال أخرى: ﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ وهو البيان ، ويحتمل أن يتمسك بهذه الآية على أن اللغات توقيفية حصل العلم بها بعد تعليم الله[3] .

قدَّم تعليم القرآن على خلق الإنسان لأنه أصل النعم الدينية فقدم

---

(١) الفخر الرازي ٢٩ / ٨٦ .

(٢) المرجع السابق ٢٩/٨٦ ، ٨٧ .

(٣) الفخر الرازي ٢٩ / ٨٧ .

الأهم[1]

﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ ما كان وما يكون عن الأولين والآخرين ويوم الدين[2] .

قال تعالى ﴿ الرَّحْمَنُ *عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾[3] أضاف سبحانه إلى ذاته الشريفة تعليم البيان والقرآن ؛ لأن العلم بهذين ضروري ولا يمكن إلا من قبله – سبحانه وتعالى – فأمَّا العلم بالقرآن فهو الحفظ له على الوجه الذي يمكنه أن يؤديه ويتلوه ، وأمَّا العلم بالبيان فهو العلم بكلام العرب ، ومواقع فائدته والاستعمال الصحيح كما ذكر علماء البيان [ لكل مقام مقال ، ولكل حال مقتضاه ] وذلك كله ضروري يحصل بالعبادة ، فكل ذلك يضاف إلى الله ــ عز وجل ــ على الحقيقة ، وتعلم القرآن بطريقة الحفظ والترتيب ، ولا يجب من حيث فصل بين القرآن وبين الإنسان فوصفه بأنه علمه ، والإنسان بأنه خلقه ويدل ذلك على أن القرآن ليس بمخلوق على ما زعمه البعض ، وذلك لأن كون الشئ موصوفاً لا يمتنع من أن يختص بصفة أخرى ، قيل : فما الذي يمنع من أن يكون تعالى خلق الأمرين وإن كان في هذه الآية لم يذكر إلا خلق الإنسان[4] .

كلام الله عز وجل قديم قال تعالى : ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[5] وقال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ

---

(١) صفوة التفاسير ٢٧٦/٣ .

(٢) تفسير القرطبى ١٧ / ١٥٢ .

(٣) سورة الرحمن من آية رقم ١ : ٤ .

(٤) متشابه القرآن القاضى عبد الجبار ٦٣٧ .

(٥) سورة فصلت آية :٤٢ .

لَحَافِظُونَ ﴾[1] وفي قوله ﴿عَلَّمَ الْقُرْءَانَ﴾ الحكمة في ذلك حياة الأرواح والطريق هو البيان ، ولها مدخل في حياة الأشباح ، وعددها على سبيل الامتنان بياناً بادئاً بالكوكب الأعظم الذي هو أعظم نوراً وأكبر جرماً ؛ وأعظم نفعاً ليكون خضوعه لقبول الآثار أدل على خضوع غيره بياناً لحكمته في تدبيره وقوته في تقديره ، وقيل علم القرآن المرئى المشهود بالكتابة ، والمتلو المسموع الجامع لكل خير ، الفارق بين كل لبس ؛ وكان القياس ألا يعلم المسموع أحد لأنه صفة من صفاته ، وصفاته في العظم كذاته ، وذاته غيب محض لأن البشر أحقر من أن يحيطوا به علماً ـ عز وجل ـ فدَّل تعليمه القرآن على أنه يقدر أن يعلم ما أراد لمن أراد ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾[2] .

ولا يخفى ما في تقديمه على جميع النعم من المناسبة ، لأنَّ أجلَّ النعم نعمة الدين التى تتبعها نعمة الدارين ، وهي أعلى مراتب ، فالقرآن سنام الكتب السماوية ، وعمادها ، ومصداقها ، والعيار عليها ، وفائدتها الإيصال إلى مقعد الصدق المتقدم ، لأنه بين ما يرضى الله لنعمل ، وما يسخطه لنجتنب ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾الكتابة والخط بالقلم[3] .

﴿ الرَّحْمَنُ *عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ خص الرحمن بتعليم القرآن المنزل على أطهر قلب وبدن ونفس وروح وعقل وكيان حبيب الرحمن الصادق الوعد الأمين خير خلق الله منذ بدء الخلق إلى يوم الدين ﷺ ففيه قضية مهمة وهى أن الله لا ييسر قراءة القرآن والتعلق به والعمل بما فيه من شرائع وأحكام وأوامر ونواهي إلا لفئة

---

(١) سورة الحجر آية : ٩ .

(٢) سورة البقرة من الآية : ٣١ .

(٣) تفسير القرطبى ١٧ / ١٥٣ .

معينة من البشر وهم المطهرون ولماذا ؟ ؛ لأن الملائكة منذ الخلق مكلفون بالعبادة والطاعة أما الإنسان فمحفوف بأشياء كثيرة منها الشهوات فإن تغلب على ذلك وتخلى ثم تحلى بالقرآن الكريم يكون قد انتصر على شهواته الموجبة للنقص قال تعالى ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾[1] ثم قال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إشارة إلى تنزيله بعد تعليمه، وكل علوي قابله السفلي ، وقدم العلويات على السفليات [2] .

وبعد الاستعانة بالله ـ عز وجل ـ أقول وبالله التوفيق بعض اللطائف التي أدعوا الله ـ عز وجل ـ أن تفيد في البحث إن شاء الله تعالى .

ـ بدأ سبحانه بحسن الابتداء ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ وفيه إشعار بالسكينة والطمأنينة والأمان ، فذكر فاصلة متساوية المقاطع في كل آية حكمتان ، مع موسيقي غاية في العذوبة ، فأول الآية مرتبطٌ بآخرها ، وآخرها يمسك بأولها وذلك كالحلقة المتراصة في حبل الطاعة للرحمن ـ عز وجل ـ ، مع تساوق الألفاظ ، وإبداع الاختيار ، وارتباط النظم ، وحسن السبك .

ـ ثم ذكر بعد ذلك من آثار رحمته بعباده إنزال القرآن فكل آية منهاج حياة فاستعمل - سبحانه - إيجاز القصر ، وخص التعليم من قبل الله ـ عز وجل ـ إلى سيدنا رسول الله ﷺ لأن به حياة الأرواح ، وبالعلم حياة ورقي ، وحضارة ، والتقدم العلمي بالمعين الذي لا ينضب ، المحفوظ من الضياع والاندثار ، المتعبد بتلاوته ، فقد جمع القرآن الكريم علوم الأولين والآخرين .

---

(١) سورة الواقعة آية : ٧٧ .

(٢) الفخر الرازي ٢٩ /٨٦ .

وفي قوله ــ عز وجل ــ ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ من الهيبة والعظمة والحكمة والخوف والرجاء والحب ، والحلم ، والكرم وعظم قدر المنزل عليه القرآن بأفصح بيان وأصدق لسان وللكون رب يحميه فذكره سبحانه يبعث في النفس السرور والغبطة مع عظم قدر الآمر ، وضآلة المأمور من جميع الكائنات ، ففيه تشريف للإنسان بذكر ﴿الرَّحْمَنِ﴾ عز وجل ، وقدَّم ذكر الرحمن للاهتمام بشأن المأمور بالقرآن من البشر ، مع عظم وهيبة قدر خير خلق الله ﷺ خير البشر منذ بدء الخلق إلى يوم الدين لأنه صاحب المعجزة الخالدة والقدر العظيم .

قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[2] وقال تعالى ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[3] وقال تعالى ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾[4] وفي قوله ــ عز وجل ــ ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ .. الخ .

ائتلاف اللفظ مع اللفظ ، وائتلاف اللفظ مع المعنى قوله ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ الذي يستوجب الإيمان والتوحيد ، وقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾ وذلك باستلزام كتاب الله ــ عز وجل لقوله تعالى ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ

---

(١) سورة الأعراف آية رقم : ٢.

(٢) سورة النحل من آية رقم : ٨٩.

(٣) سورة الإسراء آية رقم :٨٢.

(٤) سورة لقمان آية رقم : ٢، ٣.

مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[1]

﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ والبيان في حقيقة معناه الحجة لأن به إعجاز القرآن الكريم وكل ذلك يستوجب عقلاً سليماً ، وقلباً سليماً ، وجوارح لله عابدة نقية ببركة خير البرية ، وفيه من ائتلاف اللفظ مع المعنى ما لا يخفى .

والفاصلة إعلان بالمطلوب ، وإعلام بالمراد من تعليم القرآن بإنزال الكتب السماوية وبإرسال الرسل ، فجاء القرآن الكريم الرسالة الخاتمية لخير البرية للناس جميعاً ، والسنة النبوية مكملة للمعجزة الخالدة تشهد بعظمة وقدرة وقوة الرحمن الرحيم ، معجزة أحب الخلق أجمعين ﷺ قال تعالى ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾[2] .

فللترتيب في الآية الكريمة وجوه لما ثبت كون الله ــ عز وجل ــ رحمن وذكر ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين أى القرآن الكريم ذكر نعمه بدءاً بذكر تعليم القرآن ثم خلق الإنسان فأنه نعمة تتم بها جميع النعم ثم نعمة الإدراك قال سبحانه ﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ وذلك كالوجود إذ لولاه لما حصل النفع والانتفاع ، ثم ذكر نعمتين من أجل النعم للإنسان هما الشمس والقمر ، ولولا الشمس لما زالت الظلمة ، ولولا القمر لفات كثير من النعم الظاهرة بخلاف غيرهما من الكواكب ، ثم ذكر كمال نفعهما في حركتهما بحسبان لا يتغير ولو كانت الشمس ثابتة ، لما انتفع بها أحد ، ولو كان سيرها غير معلوم للخلق ، لما انتفعوا بالزراعات في أوقاتها ؛ ثم بين سبحانه فعلين ظاهرين وهما النبات الذي لا ساق له والذي له ساق ؛ فإن الرزق منه سبحانه ولولا الآدمي ما كان الرزق إلا ما شاء

---

(١) سورة آل عمران آية : ٨٥ .

(٢) سورة الرحمن آية : ٥ .

الله قال تعالى ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[1] .

كما أن سورة ( الرحمن ) مفتتحة لمعجزة دالة على المعجزة [ أى الرحمن بإنزال القرآن الكريم ] وذلك جواباً لمنكر النبوة فصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، حبيب رب العالمين الصادق الوعد الأمين ، نزل عليه الكتاب المبين وأرسله الله ــ عز وجل ــ بخير كتاب وأبلغ خطاب وأرحم نبي [ نبي الرحمة ﷺ ] قيل:من حرك الشمس والقمر على الاستدارة أنزل الملائكة على الاستقامة ثم النجم والشجر يتحركان على الاستقامة[2] .

إشارة إلى إنه مفعول إذا نظرت إليه عُرف أنه من الله - تعالى - أما السمعي فصرح بما يرجع إليه من الفعل الثاني على أى وجه تعلق الباء من ﴿بِحُسْبَانٍ﴾ وهو بين من تفسيره عز وجل .

وفي الحسبان وجهان المراد الحساب حسب حساباً وحسباناً ، فجاءت الباء للمصالحة تقول : قدمت بخير أى مع خير ومقروناً بخير فكذلك ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ ومعهما حسابهما قال تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ * وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾[3] .

وقد تكون الباء للاستعانة كما في قولنا : بعون الله غلبت ، وبتوفيق الله نجحت ، فكذلك يجريان بسحاب من الله .

---

(١) سورة الأنعام آية : ٩٦ .

(٢) الفخر الرازي ٢٩ / ٨٧ ، ٨٨ بتصرف .

(٣) سورة القمر من آية : ٤٩ وسورة الرعد من الآية : ٨ .

وقيل : الباء في ﴿بِحُسْبَانٍ﴾ ظرفية لأن الحسبان عنده الفلك[1] .

وقيل : بحسبان للاستعانة كما يقال كتبت بالقلم ، وقيل كل واحد يجرى بحسبان أو كلاهما بحسبان ، فكل واحد منهما حساب على حده قال تعالى : ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ﴾ لا بمعنى أن الكل مجموع في فلك واحد ـــ ولأن بهما تحسب الأوقات والآجال والأعمار[2] .

قال تعالى ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ وقيل بحساب معلوم[3] المعطوف على الخبر خبر .

وقيل : قرينتان متوازيتان في الحركة والسكون وهذا من المحسنات البديعية الكاملة[4] .

وقصر ﴿ بِحُسْبَانٍ﴾ على الشمس والقمر من قصر الصفة على الموصوف لأن لو لا الشمس والقمر لم يعرف النهار ـــ من الليل وهو من أبلغ أنواع القصر .

وقوله تعالى : ﴿ يسجدان ﴾ ينقادان لله – تعالى – طوعاً .

وقيل : جردتا عما يدل على الاتصال ؛ إشعارا بأن وضوحه يغنيه عن البيان وإدخال العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة على أن ما يحس به من تغيرات أحوال الأجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره[5] .

وقيل : بإخراج الثمار[6] .

---

(١) البحر المحيط ١٨٨/٨ .

(٢) فتح القدير ٥/ ١٧٤ .

(٣) صفوة التفاسير ٢٧٦/٣ ، روح المعانى ٢٧ / ٩٩ .

(٤) التحرير والتنوير ج٢٧ ص٢٣٦ .

(٥) تفسير البيضاوي ٥٢٨/٢ بتصرف .

(٦) صفوة التفاسير ٢٧٦/٣ .

﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ ما أبدى لهم من علمه ، وبهرهم من رسم كل شئ بمعناه واسمه[1]

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ﴾ ماله ساق كالنخل والبرتقال ﴿يَسْجُدَانِ﴾ أي ينقادان لله طوعاً كما ينقاد المكلفون اختياراً ، رفعها أي خلقها مرفوعة المحل والمرتبة[2] .

وقد ذكر الفخر الرازي الحكمة من ذكر الجمل السابقة بدون الواو العاطفة ، وهنا ذكرت الواو العاطفة ليتنوع الكلام توعين وذلك من بعد النعم على غيره تارة يذكر نسقاً من غير حرف فيقال فلان أنعم عليك كثيراً ؛ أغناك بعد فقر ؛ أعزك بعد ذُل قواك بعد ضعف ؛ وأخرى يذكرها بحرف عاطف فذلك العاطف قد يكون واواً ، وقد يكون فاءً ؛ وقد يكون ثم ، فيقال فلان أكرمك وأنعم عليك وأحسن إليك ؛ ويقول ربك فعلمك فأغناك ، ويقول : أعطاك ثم أغناك ، ثم أحوج الناس إليك فكذلك هنا ذكر التعديد بالنوعين جميعاً فإن قيل : زده بياناً وبين الفرق بين النوعين في المعنى قلنا الذي يقول بغير حرف كأنه يقصد به بيان النعم الكثيرة فيترك الحرف يستوعب الكل من غير تطويل كلام ، ولهذا يكون ذلك النوع في أغلب الأمر عند مجاوزة النعم ثلاثاً أو عندما تكون أكثر من نعمين ، فإن ذكر ذلك عند نعمتين فيقول فلان أعطاك المال وزوجك البنت ؛ فيكون في كلامه إشارة إلى نعم كثيرة ؛ وإنما اقتصر على النعمتين للأنموزج ، والذي يقول بحرف فكأنه يريد التنبيه على استقلال كل نعمة بنفسها ، وإذهاب توهم البدل والتفسير ، وقيل : إن كان الأمر على ما ذكرت فلو ذكر النعم الأول بالواو ثم عند تطويل الكلام في الآخر سردها سرداً ، هل

---

(١) نظم الدرر ٣٧٤/٧ .

(٢) تفسير المراغى ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .

كان أقرب إلى البلاغة ؟

وورود كلامه تعالى عليه كفاه دليلاً على أن ما ذكره الله تعالى أبلغ، وله دليل تفصيلي ظاهر بيّن يبحث ، وهو أن الكلام قد يشرع فيه المتكلم أولاً على قصد الاختصار فيقتضي الحال التطويل ، إما لسائل يكثر السؤال ، وإما لطالب يطلب الزيادة للطف كلام المتكلم ، وإما لغيرهما من الأسباب وقد يشرع على قصد الإطناب والتفصيل ، فيعرض ما يقتضي الاقتصار على المقصود من شغل السامع أو المتكلم وغير ذلك مما جاء في كلام الآدميين ، كلام الله تعالى فوائده لعباده لا له ـ سبحانه ـ ففي هذه السورة ابتدأ الأمر بالإشارة إلى بيان أتم النعم إذ [القرآن]هو المقصود ، فأتى بما يختص بالكثرة ، ثم إن الإنسان ليس بكامل العلم يعلم مراد المتكلم إذا كان الكلام من أبناء جنسه ، فكيف إذا كان الكلام كلام الله تعالى ، فبدأ الله به على الفائدة الأخرى وإذهاب توهم البدل والتفسير والنعي على أن كل واحد منها نعمة كاملة ، وقد خصص العطف بهذا الكلام والابتداء به لا بما قبله ولا بما بعده ، قلنا : ليكون النوعان على السواء فذكر الثمانية من النعم كتعليم القرآن وخلق الإنسان وغير ذلك أربعاً منها بغير واو وأربعاً بواو ، وأما قوله تعالى : ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ﴾ وقوله : ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ﴾ فلبيان نعمة الأرض على التفصيل ثم في اختيار الثمانية لطيفة ، وهي أن السبعة عدد كامل والثمانية هي السبعة مع الزيادة فيكون فيه إشارة إلى أن نعم الله خارجة عن حد التعديد لما أن الزائد على الكمال لا يكون معيناً مبيناً ، فذكر الثمانية منها إشارة إلى بيان الزيادة على حد العدد لا لبيان الانحصار فيه[1] .

---

(١) الفخر الرازي ٢٩ / ٨٩ ، ٩٠ بتصرف .

في قوله : ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ و ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ ﴾ مقابلة الشمس والقمر نكر أرضين في مقابلة سماوين[1] وفي قوله : ﴿يَسْجُدَانِ﴾ يدل على أن المراد ليس نجم السماء لأن من مشربه قال : يسجد بالغروب ، وعلى هذا فالشمس والقمر أيضاً كذلك يغربان ، فلا يبقى للاختصاص فائدة ، وأما إذا قلنا : هما أرضان فنقول : ﴿يَسْجُدَانِ﴾ بمعنى ظلالهما تسجد فيختص السجود بهما دون الشمس والقمر، وفي سجودهما وجوه:

أحدها : ما ذكرنا من سجود الظلال .

ثانيها : خضوعهما لله تعالى وخروجهما من الأرض ودوامهما وثباتهما عليها بإذن الله تعالى ، فسخر الشمس والقمر بحركة مستديرة والنجم بحركة مستقيمة إلى فوق ، فشبه النبات في مكانها بالسجود لأن الساجد يثبت.

ثالثها : حقيقة السجود منهما وإن لم تكن مرئية كما يسبح كل منهما وإن لم يفقه كما قال تعالى : ﴿وَلَاكِن لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[2] .

رابعها : السجود وضع الجبهة أو مقاديم الرأس على الأرض والنجم والشجر في الحقيقة رؤوسهما على الأرض وأرجلهما في الهواء؛ لأن الرأس من الحيوان ما به شربه وغذاؤه ، وللنجم والشجر اغتذاؤهما وشربهما بأجذالهما ولأن الرأس لا تبقى بدونه الحياة والشجر والنجم لا يبقى شيء منهما ثابتاً غضاً عند وقوع الخلل في أصولهما ، ويبقى عند قطع فروعهما وأعاليهما ، وإنما يقال : للفروع رؤوس الأشجار ، لأن الرأس في الإنسان هو ما يلي جهة فوق فقيل لأعالي الشجر رؤوس ،

---

(١) المرجع السابق ٢٩ / ٩٠ .

(٢) سورة الإسراء من الآية : ٤٤ .

إذا علمت هذا فالنجم والشجر رؤوسهما على الأرض دائماً ، فهو سجودهما بالشبه لا بطريق الحقيقة[1] .

وقال تعالى ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾يطلق على وضع الوجه على الأرض بقصد التعظيم ، ويطلق على الوقوع على الأرض مجازاً مرسلاً بعلاقة الإطلاق ، أو استعارة ومنه قولهم : ( نخلة ساجدة ) إذا أمالها حملُها ، فسجود نجوم السماء نزولها إلى جهات غروبها ، وسجود نجم الأرض التصاقه بالتراب كالساجد ، وسجود الشجر تطأطؤه بهبوب الرياح ودنوّ أغصانه للجانين لثماره والخالطين لورقه ، ففعل ﴿يَسْجُدَانِ﴾ مستعمل في معنيين مجازيين وهما الدنو للمتناول والدلالة على عظمة الله تعالى بأن شبه ارتسام ظلالهما على الأرض بالسجود كما قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾[2] قال تعالى ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ بالكلام ، وهو من أعظم النعم وأتمها إن استعمل في الصدق لا في الكذب ، ولنصرة الحق ، وإبطال الباطل ؛ قال إمام المتقين والساجدين سيدنا الإمام على بن سيدنا الإمام الحسين ﷺ ( لكل من الكلام والسكوت آفات ، فإذا سلما من الآفات ، فالكلام أفضل ، لأن الله بعث الأنبياء بالكلام لا بالسكوت ولا استحقت الجنة بالسكوت ، ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت ، ونعت الرسول الأعظم ﷺ الساكت عن الحق بالشيطان الأخرس[3] .

في تقديم النجم على الشجر موازنة لفظية للشمس والقمر وأمر معنوي ، وهو أن النجم في معنى السجود أدخل لما أنه ينبسط على

---

(١) الفخر الرازي ٢٩ / ٩٠ بتصرف .

(٢) سورة الرعد آية : ١٥ ، التحرير والتنوير ٢٧ ٢٣٧ .

(٣) التفسير المبين ص٧ ، ٨ .

الأرض كالساجد حقيقة ، كما أن الشمس في الحسبان أدخل ، لأن حساب سيرها أيسر عند المقومين من حساب سير القمر ، إذ ليس عند المقومين أصعب من تقويم القمر في حساب الزيج(١).

وبعد الاستعانة بالله عز وجل ـ وبالله التوفيق سأذكر إن شاء الله العلي القدير بعض اللطائف راجية من الله سبحانه أن تفيد في البحث إن شاء الله تعالى.

في قوله عز وجل ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ في وجه الجمع بين الشمس والقمر ، والنجم والشجر أن لكل فائدة لا تحصى فما في السماء من النور والخير ومصلحة العباد ، وتعاقب الليل والنهار وما في الأرض من الثمار والزروع والخير لمصلحة العباد وذلك أدعى لشكر المنعم على النعم قال تعالى ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾(٢).

وقد جاء بقوله ﴿بِحُسْبَانٍ﴾ في الشمس والقمر ﴿يَسْجُدَانِ﴾ في النجم والشجر للمناسبة ؛ فالحسبان يتعاقب النهار بليل ؛ والليل بنهار وذلك لدَّورة معلومة ، والنجم والشجر لنُضح الثمار ؛ وذلك منفعة للعباد لأن الشمس والقمر بحساب معين ويساعدان على سير الحياة ، بدرجة الحرارة أو البرودة أو الربيع فيكون هناك توازناً بين ما في السماء لمصلحة من في الأرض فأتت الفاصلة القرآنية مستقرة في مكانها ، غير

---

(١) الفخر الرازي ٢٩ / ٩٠ . والزَّيجُ : خَيطُ البَنَّاءِ وهو المِطْمَرُ فارسي معرّب قال الأصمعي لست أدري أعربي هو أم معرّب؟ ( انظر : لسان العرب لابن منظور مادة ( زيج ) ج٢ ص ١٧٤ ط : دار صادر بيروت ) .

(٢) سورة الذاريات آية : ٢١ ، ٢٢ .

قلقة ولا ناقرة ، لأن الكون مبناه على دقة متناهية ؛ وإبداع فيه روعة وإبهار ، ففي كل حرف من القرآن الكريم إعجاز ، وفي كل كلمة ، وفي كل آية ؛ فكل جملة تخبر بخالق الأكوان وبحبيب الرحمن – عز وجل – قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاء رَفَعَهَا﴾ بعد قوله : ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ ذكر الخاص أولاً في قوله : ﴿ الشمس والقمر ﴾ ثم أتى بالعام وهى السماء التي هي محل ومكان للشمس والقمر وذلك لأهمية الخاص في بقاء الحياة ، واستمرار التعاقب ، فكانت مصلحة العباد مقدمة في الذكر ؛ لأن الخلاق العظيم بخلقه رحمن رحيم فالسماء خلقت مرفوعة ؛ ليكون البيان واضحاً بين السماء وما فيها من نعم وإجلال ، نور، وكمال؛ وبهاء وضياء ، سمو ، وارتفاع ، والأرض وما فيها للعباد .

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ﴾ لفظ فيه معنيان ( تورية ) معنى قريب وهو نجم السماء ؛ وآخر بعيد وهو الشجر الذي لا ساق له،والمراد المعنى البعيد ؛ فالتورية تدخل في إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة فيقال في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ أي استولى[1] ولما أضيف النجم إلى الشجر صار بذلك يتبع العلوي ويتبع السفلى وذلك على حسب المراد من الآيات .

قدم الشمس على القمر ، لأن بها معايش العباد ، والسعي فتكون الشمس أقوى وأظهر وأوضح وأتم نهاراً بخلاف الليل الذي فيه الراحة والهدوء والخلود للسكنية ، فيكون نور القمر الذي ينبئ عن الاطمئنان والاستكانة بعد تعب وإرهاق وعناء قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ

---

(١) بغية الإيضاح ٤/٢٤ ، ٢٥ ( متن وهامش ) .

لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً ﴾[1] وقال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً ﴾[2] قال تعالى ﴿وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾[3] أى خلقها مرفوعة محلاً ومرتبة فإنها منشأ أقضيته ومتنزل أحكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء[4] .

ونبه ــ سبحانه ــ على عظم شأنه وملكه [5] .

وقيل من الرفع الصوري والحسي [6]

وقيل : أو المراد الرفع الصوري والمعنوي بطريق عموم المجاز أو الجمع بين الحقيقة والمجاز عند من يرى جوازه ورفعها المعنوي الرتبي لأنها منشأ أحكامه – تعالى – وقضاياه ومنزل أوامره – سبحانه – ومحل ملائكته – عز و جل – وقرئت بالرفع على الابتداء ولا إشكال فيه لأن الجملة عليه اسمية معطوفة على مثلها ، وإنما الإشكال في النصب لأنه بفعل مضمر على شريطة التفسير أي ورفع السماء فتكون الجملة فعلية فإن عطفت على جملة النجم والشجر يسجدان الكبرى لزم تخالف الجملتين لمعطوف والمعطوف عليها بالاسمية والفعلية وهو خلاف الأولى وإن عطفت على جملة يسجدان الصغرى لزم أن تكون خبراً للنجم والشجر مثلها وذلك لا يصح إذ لا عائد فيها إليهما وكذا يقال في العطف على كبرى وصغرى الشمس والقمر بحسبان .

---

(١) سورة يونس من الآية : ٦٧ .

(٢) سورة الفرقان آية : ٤٧ .

(٣) سورة الرحمن آية : ٧ .

(٤) تفسير البيضاوي ٢/٢٥٨ .

(٥) البحر المحيط ٨/١٨٩ .

(٦) روح المعاني ٢٧ /١٠١ بتصرف .

وأجاب أبو علي باختيار الثاني فقيل : لا يلزم في المعطوف على الشيء أن يعتبر فيه حال ذلك الشيء وتلا باب قولهم: متقلدا سيفاً ورمحاً ، وبعضهم باختيار الأول ويحسن التخالف إذا تضمن نكتة ، وقيل : الظاهر أن يعطف على جملة ﴿ الشمس والقمر بحسبان ﴾ ليؤذن بأن الأصل أجرى الشمس والقمر وأسجد النجم والشجر ، التوكيد في الأخيرة والكلام يتعلق بالرفع والنصب فيما إذا ولي العاطف جملة ذات وجهين[1].

وفي قوله ــ عز وجل ــ ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ مراعاة النظير ومنه قول أبى تمام :

لِسَلْمَى سَلامَانِ وعَمْرَةَ عَامِرٍ
وهِنْدِ بَنِي هِنْدٍ وسُعْدِي بني سَعْدِ[2]

[ووضْعَ الميزان] أي : جَعَلَ له مكانةً ورِفْعَةً لأَخْذِ الحقوق به ، وهو مِنْ بديعِ اللفظِ ، حيث يصير التقديرُ : [ورَفَعَ وَضْعَ الميزان][3] فهو كل ما توزن به الأشياء ، وتعرف مقاديرها ؛ من ميزان وقرسطون ومكيال ، ومقياس ؛ أى خلقه موضوعاً على الأرض حيث علق به أحكام عباده من التسوية ، والتعديل ، في أخذهم وإعطائهم[4] .

قال سيدنا رسول الله ﷺ [بِالْعَدْلِ قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ][5] .

---

(١) روح المعاني ٢٧ / ١٠١ بتصرف .

(٢) المعجم المفصل ص٦٤٦ .

(٣) الدر المصون ٦/٢٣٦ .

(٤) تفسير القرآن الجليل ٤/٢٠٩ .

(٥) ذكره أبو عبد الله الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ ج٢ ص ٥٩ تحقيق عبد الرحمن عميرة ط: دار الجيل بيروت سنة ١٩٩٢م . ليس على أنه

أى بقيتا على أبلغ نظام وأتقن إحكام[1] .

وقد بين سبحانه أن المراد بالعدل عدل الله ـ عز وجل ـ وإعطاؤه ـ سبحانه ـ كل شئ حلقه، قال تعالى ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[2] والميزان مستعار للعدل استعارة تصريحية ، وقد استعمل في المجاز في استعمال المقيد في المطلق،وقيل : حقيقة[3] .

قال تعالى :﴿ وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ إشارة إلى العدل وفيه لطيفة وهي أنه تعالى بدأ أولاً بالعلم ثم ذكر ما فيه أشرف أنواع العلوم وهو القرآن ، ثم ذكر العدل وذكر أخص الأمور له وهو الميزان،كقوله تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[4] فإنه قيل : العلم لا شك في كونه نعمة عظيمة ، وأما الميزان فما الذي فيه من النعم العظيمة التي بسببها يعد في الآلاء ؟

نقول : النفوس تأبى الغبن ولا يرضى أحد بأن يغلبه الآخر ولو في الشيء اليسير ، ويرى أن ذلك استهانة به فلا يتركه لخصمه لغلبة ، فلا أحد يذهب إلى خصمه يغلبه فلولا التبيين ثم التساوي لأوقع الشيطان بين الناس البغضاء كما وقع عند الجهل وزوال العقل والسكر . وذلك ليقوم الناس بالقسط .

قلنا : أن العقل والعلم صارا سبباً لبقاء عمارة العالم ، فكذلك العدل في الحكمة سبب ، وأخص الأسباب ، فالميزان نعمة كاملة ، ولا ينظر

---

حديثاً .

(١) روح المعاني ٢٧ / ١٠١ .

(٢) سورة طه من الآية : ٥٠ .

(٣) روح المعاني ٢٧ / ١٠١ .

(٤) سورة الحديد آية : ٢٥ .

إلى عدم ظهور نعمته لكثرته وسهولة الوصول إليه كالهواء والماء اللذين لا يتبين فضلهما إلا عند فقدهما[1] .

قال تعالى : ﴿ أَلَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾ الميزان الأول العدل ووضعه شرعه كأنه قال : يُشرِّعُ الله العدل لئلا تطغوا في الميزان الذي هو آلة العدل ، هذا هو المنقول ، والأولى أن يعكس الأمر ، ويقال : الميزان الأول هو الأداة ، والثاني هو بمعنى المصدر ومعناه وضع الميزان لئلا تطغوا في الوزن أو بمعنى العدل وهو إعطاء كل مستحق حقه ، فكأنه قال : وضع الآلة لئلا تطغوا في إعطاء المستحقين حقوقهم.

ويجوز إرادة المصدر من الميزان كإرادة الوثوق من الميثاق والوعد من الميعاد ، فإذن المراد من الميزان آلة الوزن.

والوجه الثاني:(إنّ) (أن) مفسرة والتقدير شرع العدل،أي لا تطغوا ، فيكون وضع الميزان بمعنى شرع العدل ، وإطلاق الوضع للشرع ، والميزان للعدل جائز ، ويحتمل أن يقال : وضع الميزان أي الوزن.

وقوله : ﴿أَلَا تَطْغَوْا فِى الْمِيزَانِ﴾ على هذا الوجه ، المراد منه الوزن بلفظه يدل على أن المراد منهما واحد ، فكأنه قال : ألا تطغوا فيه ، فإن قيل : لو كان المراد الوزن ، لقال : ألا تطغوا في الوزن ، نقول : لو قال في الوزن لظن أن النهي مختص بالوزن للغير لا بالاتزان للنفس ، فذكر بلفظ الآلة التي تشتمل على الأخذ والإعطاء ، وذلك لأن المعطي لو وزن ورجح رجحاناً ظاهراً يكون قد أربى ، ولاسيما في الصرف وبيع المثل[2] ﴿ وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ إنه الميزان ذو اللسان ليناصف به الناس الحقوق ،

---

(١) روح المعاني ٢٧ ، ١٠١ .

(٢) الفخر الرازي ٢٩ / ٩١ .

قال الضحاك : الميزان الحكم ، العدل[1] .

﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ يدل على أن المراد من قوله : ﴿أَلَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ هو بمعنى لا تطغوا في الوزن ، لأن قوله : ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ﴾ كالبيان لقوله : ﴿أَلَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ وهو الخروج عن إقامته بالعدل ، وقوله : ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما :أقيموا بمعنى قوموا به كما في قوله تعالى﴿أَقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾ أي قوموا بها دواماً ، لأن الفعل تارة يعدى بحرف الجر ، وتارة بزيادة الهمزة ، تقول : أذهبه وذهب به .

ثانيها : أن يكون أقيموا بمعنى قوموا ، يقال : في العود أقمته وقومته ، والقسط العدل ، فإن قيل : كيف جاء قسط بمعنى جار لا بمعنى عدل ؟

نقول : القسط اسم ليس بمصدر ، والأسماء التي لا تكون مصادر إذا أتى بها آت أو وجدها موجد ، يقال فيها : أفعل بمعنى أثبت،كما قال : فلان أطرف وأتحف وأعرف بمعنى جاء بطرفة وتحفة وعرف،وتقول : أقبض السيف بمعنى أثبت له قبضة ، وأعلم الثوب بمعنى جعل له علماً ، وأعلم بمعنى أثبت العلامة ، وكذا ألجم الفرس وأسرج ، فإذا أمر بالقسط أو أثبته فقد أقسط ، وهو بمعنى عدل ، وأما قسط فهو فعل من اسم ليس بمصدر ، والاسم إذا لم يكن مصدراً في الأصل ، ويورد عليه فعل فربما يغيره عما هو عليه في أصله ، مثاله الكتف إذا قلت كتفته كتافاً فكأنك قلت : أخرجته عما كان عليه من الانتفاع وغيرته ، ومعنى كتفته أي تغير عن الوجه الذي ينبغي أن يكون ، وعلى هذا لا يحتاج إلى أن يقال :

---

(١) النكت والعيون ٥/٤٢٤.

القاسط والمقسط ليس أصلهما واحداً وكيف كان يمكن أن يقال : أقسط بمعنى أزال القسط ، كما يقال : أشكى بمعنى أزال الشكوى أو أعجم بمعنى أزال العجمة وفي قوله ﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾ [1] والأصل في أفعل التفضيل أن يكون من الثلاثي المجرد تقول:أظلم وأعدل من ظالم وعادل ، فكذلك أقسط كان ينبغي أن يكون من قاسط ، ولم يكن كذلك ، لأنه على ما بينا الأصل القسط ، والإقساط إزالة ذلك ، ورد القسط إلى أصله ، فصار أقسط موافقاً كالأصل ، وأفعل التفضيل يؤخذ مما هو أصل لا من الذي فرع عليه ، فيقال : أظلم من ظلم لا من متظلم وأعلم من عالم لا من معلم[2] .

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ أي اعطوه مستقيماً بالعدل .

وقيل : أقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل .

وقيل : الإقامة باليد والقسط بالقلب .

وقيل : القسط العدل بالرومية.

وقيل : كقولك أقام الصلاة أي أتى بها على وقتها ، وأقام الناس أوقاتهم أتوا بها لوقتها. أي لا تدعوا التعامل بالوزن والعدل[3] .

قال تعالى : ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ ولا تنقصوا المكيال والميزان ذكره الله تعالى ثلاث مرات كل مرة بمعنى آخر .

والثالث للمفعول وذكر الكل بلفظ الميزان؛لأن الميزان أشمل للفائدة ، وهو كالقرآن ذكره الله بمعنى المصور وبين القرآن والميزان مناسبة ، فإن القرآن فيه من العلم ما لا يوجد في غيره من الآلات ، وقدم السماء

---

(١) سورة البقرة . رقم الآية : ٢٨٢.

(٢) الفخر الرازي ٢٩ / ٩١ بتصرف .

(٣) اللباب في علوم الكتاب ١٨ / ٣٠٢ .

على الفعل الذي هو الرفع ؛ وذلك أن في كل كلمة من كلمات الله فوائد لا يحيط بها علم البشر إلا ما ظهر والظاهر ههنا أنه تعالى لما عد النعم الثمانية كما بينا وكان بعضها أشد اختصاصاً بالإنسان من بعض فما كان شديد الاختصاص بالإنسان قدم فيه الفعل ؛ فلا يصرح في القليل بإسناد الفعل إلى نفسه ، وكذلك يقول : في النعم المختصة ، أعطيتك كذا ، وفي التشريك وصل إليك مما اقتسمتم بينكم كذا ، فيصرح بالإعطاء عند الاختصاص ، ولا يسند الفعل إلى نفسه عند التشريك ، وكذلك ههنا ذكر أموراً أربعة بتقديم الفعل ، قال تعالى : ﴿عَلَّمَ الْقُرْءَانَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ وأموراً أربعة بتقديم الاسم ، قال تعالى : ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ، وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ ﴾ ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا ﴾ ، ﴿ وَالأَرْضَ وَضَعَهَا ﴾ ، وذلك لأن تعليم القرآن نفعه إلى الإنسان أعود ، وخلق الإنسان مختص به ، وتعليمه البيان كذلك ووضع الميزان ، كذلك لأنهم هم المنتفعون به لا الملائكة ، ولا غير الإنسان من الحيوانات ، وأما الشمس والقمر والنجم والشجر والسماء والأرض فينتفع به كل حيوان على وجه الأرض وتحت السماء .

( قيل: لسان الميزان بالعدل ويقال : لسان أنفسكم بالصدق )[1] .

وقرأ الجمهور :﴿وَالسَّمَاءَ﴾ ، بالنصب على الاشتغال ، روعي مشاكلة الجملة التي تليه وهي ﴿يَسْجُدَانِ﴾ . وقرأ بالرفع ، راعى مشاكلة الجملة الابتدائية . وقرأ الجمهور:﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ ،فعلاً ماضياً ناصباً الميزان ، أي أقره وأثبته .

وقيل : إن الميزان بالسوية في الأخذ والإعطاء .

---

(١) الدر المصون في التفسير بالمأثور ٣١٤/٥ .

وقيل : الميزان : العدل ، وتكون الآلات من بعض ما يندرج في العدل . بدأ أولاً بالعظم ، فذكر ما فيه أشرف أنواع العلوم وهو القرآن الكريم ، وذكر ما به التعديل في الأمور ، وهو الميزان[1] .

والطغيان في الميزان هو أن يكون بالتعمد ... ولما كانت التسوية مطلوبة جداً ، أمر الله تعالى فقال:﴿وَأَقِيمُواْ الْوَزْنَ﴾. وقرأ الجمهور:﴿ وَلاَ تُخْسِرُواْ ﴾ ، من أخسر : أي أفسد ونقص ، كقوله : ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ كما أن فعل خسر جاء متعدياً كقوله تعالى﴿خَسِرُواْ أَنفُسَهُم﴾[2] و ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ﴾[3] وقرىء أيضاً : ﴿ تخسروا ﴾ ، بفتح التاء وضم السين لما منع من الزيادة ، وهي الطغيان ، نهى عن الخسران ، وكرر لفظ الميزان ، تشديداً للتسوية به وتقوية للأمر باستعماله والحث عليه ، ولما ذكر السماء ، ذكر مقابلها الأرض [4] فقال : ﴿ وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ ﴾[5] : أي خفضها مدحوة على الماء[6] لينتفع بها قال تعالى : ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾ وهو ما يتفكه به ؛ وبدأ بقوله : بـ ﴿فَاكِهَةٌ﴾ ، إذ هو من باب الابتداء بالأدنى والترقي إلى الأعلى وقيل للتذكير[7] ، ونكر لفظها ،

---

(١) البحر المحيط ٨/٧٩ بتصرف .

(٢) سورة الأنعام من آية : ١٢، ٢٠ / وسورة الأعراف من آية : ٩. / وسورة الأعراف من آية :٥٣ ./ و سورة هود من آية : ٢١. / وسورة المؤمنون من آية :١٠٣. / و سورة الزمر من آية: ١٥./ و سورة الشورى من آية :٤٥ .

(٣) سورة الحج من آية : ١١

(٤) البحر المحيط ٨/ ١٨٩ بتصرف .

(٥) سورة الرحمن من آية : ١٠ .

(٦) تفسير القرآن الجليل ٤/ ٢٠٩ والبحر المحيط ٨ / ١٩٠ بتصرف .

(٧) روح المعاني ٢٧ / ١٠٣ .

لأن الانتفاع بها دون الانتفاع بما يذكر بعدها ثم ثنى ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾[1] والأكمام أوعية التمر جمع كم أو كل ما يكم أي يغطى ، قيل : وعاء الطلع وغطاء النور أي يغطى من ليف وسعف[2] ، وما به يتقوت ، وما به تقع اللذاذة من الرائحة الطيبة . وذكر النخل باسمها ، والفاكهة دون شجرها ، لعظم المنفعة بالنخل من جهات متعددة ، وشجرة الفاكهة بالنسبة إلى ثمرتها حقيرة ، فنص على ما يعظم به الانتفاع من شجرة النخل ومن الفاكهة دون شجرتها[3] قال تعالى ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾[4] .

قيل : وخلق الْحَبَّ بنصب الثلاثة وجوز أن يكون ﴿ وَالرَّيْحَانُ ﴾ حالة الرفع وحالة النصب على حذف مضاف،أي وذو الريحان.حذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه ، وقرئ والريحان بالجر، والمعنى : والحب ذو العصف الذي هو علف البهائم ، والريحان الذي هو مطعم الناس ، ويبعد دخول المشموم في قراءة الجر، وريحان من ذوات الواو .

وقيل : يجوز أن يكون اسماً ، ووضع موضع المصدر ، وأن يكون مصدراً على وزن فعلان كالليان . وأبدلت الواو ياء ، كما أبدلوا الياء واواً في أشاوى ، أو مصدراً شاذاً في المعتل ، كما شذ كينونة وبينونة ، فأصله ريوحان ، قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء فصار ريحان ، ثم حذفت عين الكلمة ، كما قالوا : ميت وهين[5] .

---

(١) سورة الرحمن من الآية : ١١ .

(٢) تفسير البيضاوي ٢٧ / ٥٢٩ ، والجامع لإحكام القرآن الكريم ١٧ / ١٥٦ .

(٣)روح المعاني ٢٧ / ١٠٣ .

(٤) سورة الرحمن آية رقم : ١٢ .

(٥) البحر المحيط ٨/ ١٩٠ بتصرف .

وقيل: كل ريحان في القرآن فهو رزق عن الحسن قال ريحانكم هذا.

وقيل : الريحان الرياحين التى توجد ريحها .

وقيل : هو خضرة الزر ع ، وقيل ما قام على ساق ، والرأى الصواب كما ذكر عن المحدثين الرزق وهو الحب الذي يؤكل منه ومسموع من العرب ويقال سبحانك وريحانك وقيل : التمر وقيل : الحب السنبلة[1] .

سماءُ الإلهِ وريَحانُه
وجنتُه وسَماءٌ درِرَ[2]

ولما عدَّ سبحانه نعمه قال تعالى ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ نعمه كثيرة لا تحصى ، فبأيها تكذبان ، والخطاب للثقلين[3].

سئل سيدنا رسول الله ﷺ عن الثقلين فقال ﷺ : " الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله . عزوجل . وطرف بايديكم فتمسكوا به لا تضلوا والآخر الأصغر عترتي ، وإن اللطيف الخبير نبأني انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فسألت ذلك لهما ربي فلا تقدموهما فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا "[4]

كررت الآية إحدى وثلاثين مرة قيل :

١ـ أكثر ما ورد في التكرار في القرآن على الإطلاق .

٢ـ وهذا التكرار تمهيداً رائعاً حيث جاء بعد اثني عشرة آية متحدة

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٣١٤/٥ .

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن ٧٢/١١ بتصرف .

(٣) البحر المحيط ١٩٠/٨ بتصرف .

(٤) ذكر الحديث بسده من قبل . ينظر : الإمام علي من المهد إلى اللحد ص٣٣٦ ، ٣٣٧، ٣٤٣.

الفواصل ، وتكررت كلمة الميزان ثلاث مرات متتابعة[1]

٣ــ قيل : التكرير التقرير وأما هذا العدد الخاص فالأعداد توقيفية لا تطلع على تقدير المقدرات أذهان الناس ، والأولى أن لا يبالغ الإنسان في استخراج الأمور البعيدة في كلام الله تعالى .

٤ــ إن الثلاثين مرة تكرير بعد البيان في المرة الأولى لأن الخطاب مع الجن والإنس ، والنعم منحصرة في دفع المكروه وتحصيل المقصود ، لكن أعظم المكروهات عذاب جهنم ولها سبعة أبواب وأتم المقاصد نعيم الجنة ولها ثمانية أبواب فإغلاق الأبواب السبعة وفتح الأبواب الثمانية جميعه نعمة وكرم وفضل منه ، فإذا اعتبرت تلك النعم بالنسبة إلى جنسي الجن والإنس تبلغ ثلاثين مرة وهي مرات التكرير للتقرير والمرة الأولى لبيان فائدة الكلام .

٥ــ أبواب النار سبعة والله تعالى ذكر سبع آيات تتعلق بالتخويف من النار.

٦ــ كما أن هذا التمهيد أشاع لحناً موسيقياً عذباً كان بمثابة مقدمة طبيعية لتلاؤم صور التكرار ولتألفها النفس وتأنس بها فلا تهجم عليها هجوماً .

٧ــ أن الطابع الغالب على هذه السورة هو تعداد النعم على الثقلين تذكير وتقرير النعمة[2] .

**وبعد الاستعانة بالله ـ عزوجل ـ أذكر بعض اللطائف التى تفيد البحث إن شاء الله العلى القدير :**

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ بعد قوله: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

---

(١) خصائص التفسير القرآن وسماته البلاغية ٣٢٩/١ .

(٢) خصائص التفسير القرآن وكافة البلاغية ٣٢/٢ ، ٣٣ بتصرف .

بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ ذكر العام بعد الخاص وذلك لأهمية الخاص في بقاء الحياة واستمرار التعاقب بالحساب وكل ، له أهمية في الذكر ــ وذكر المجاز المرسل في الآية في قوله: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ والعلاقة المجاورة وذلك لمصالح العباد ، الليل بالخلود إلى الراحة ، والسكنية والهدوء بعد مشقة النهار ؛ والنهار لمنفعة العباد والسعي للرزق فقدمت المصلحة والمنفعة من رحمة الله على عباده ، ثم ذكر خلق السماء مرفوعة لبين عظم ما في السماء لمصلحة العباد وما في الأرض من خضرة ونماء لمصلحة العباد ولولا السماء لم يحدث للزروع نماء ، وقال ﴿رَفَعَهَا﴾ ولم يقل أعلاها مثلاً، وذلك لمجاورة السماء للنور والعلو والارتفاع والعظمة ولأن في السماء العرش والكرسي . والله ــ عز وجل ــ موجود في كل زمان ومكان(لا يشغله شأن عن شأن) فهي [مرفوعة محلاً ومرتبة][1] فلقوله ــ عز وجل ﴿رَفَعَهَا﴾رفع واتساق وعلو وتمكن ما لم يكن لغير هذه الكلمة وخص الميزان بالوضع قيل : لأن السماء كالقرآن ، فإذا روعي العدل في الملك أقيم القرآن الذي به العدل فهو عدل الله ــ عز وجل ــ لمن في الأرض المعجزة الخالدة الباقية على مر الزمان لسيدنا رسول الله ﷺ فأساس الملك العدل لذا كرُر للتوكيد على ذلك والحث على إقامة العدل الذي به بنيان الحياة لكل البشر دون استثناء ووجه المناسبة بين الرفع والوضع حسن التناسق وجودة التلاؤم واتساق المعانى بالألفاظ والتناغم لأنه سبحانه لما ذكر أحوال أهل السماء ذكر أحوال أهل الأرض ففي الكلام المقابلة اللفظية والمعنوية من البديع الحسن الجميل الغير متكلف وإنما جاء عفو الخاطر ينبئ عن قريحة

---

(١) تفسير البيضاوي ٥٢٨/٢ .

سليمة ، فقد ورد القرآن الكريم معجزاً في ألفاظه ومعانيه ، في محكمه ومتشابهه ؛ بكل ما ورد فيه من أخبار وحكم ، وأحكام ، ووعظ وإرشاد، بيوع ، وشراء للإقرار بوحدانية الله الواحد الأحد الذي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ الذي لا يضيره من عصى ولا ينفعه من أطاع ﴿ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴾ وقد خص التشديد بعدم مجاوزة الحد لأنه لا يوجد شعب من الشعوب ذو حضارة وتقدم في عبودية وانكسار وتكون العبودية والانكسار لله الواحد الأحد الصمد ، فالإعمار الصحيح يقتضى دعائم ، وأصول وقوانين ، يكون قوامها الدين القائم على العدل ، فالشعب المهضوم الحق لا يرتقى ولا يتقدم ، ولا يوجد دين من الأديان إلا وحث على العدل فما بالنا بخير رسالة وأفضل الأنبياء والمرسلين حبيب رب العالمين من أتى بالدين الإسلامي الحنيف قال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1].

فقد كفل لنا الله الحياة الكريمة بـ لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله ﷺ منهاج حياة ، وقد ورد النهى في قوله:﴿ألا﴾التى تفيد التخصيص وهى إما أن الناصبة ، ولا النافية ، أو أن المفسرة ولا الناهية[2] وإن كانت أن الناصبة للمضارع فتكون في الابتداء في محل رفع قال تعالى : ﴿ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾[3] ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[4] وفي قوله ﴿الْمِيزَانَ﴾ تورية كلام له معنيان معنى قريب الميزان المعروف الذي توزن به

---

(١) سورة الحجر آية : ٩ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن ١٥٩/٢ .

(٣) سورة البقرة من الآية : ١٨٤ .

(٤) سورة البقرة من الآية : ٢٣٧ .

الأشياء ، والمعنى البعيد العدل وهو المعنى المراد واستعمال الطغيان في الميزان مجاز قال تعالى: ﴿ .. لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾[1] وقال : ﴿فِي الْمِيزَانِ﴾ ولم يقل على الميزان لأن في مستعمله في الظرفية مكاناً وزماناً[2] .

وقيل : الأوّل ميزان الدنيا ، والثانى ميزان الآخرة ، والثالث ميزان العقل[3] .

وفي قوله : ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾ التفات تطرية لنشاط السامع ليتلقى الكلام مطابقاً للفعل ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ أتى بالواو العاطفة حيث عطفها على﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ ﴾ لأن الإقامة سبب في عدم الخسران ، وأقيموا فعل أمر المراد به الفعل المخصوص ، فتكون إقامة الوزن سبباً في نجاح المطلوب ، والفوز والنجاة ولأن الخسران والعياذ بالله سببٌ في الهلاك والوصول إلى ما لا يحمد عقباه ، وجاء بالجار والمجرور في قوله ﴿لِلْأَنَامِ﴾لأن الأنام علة للوضع[4] فجاءت اللام للخصوص المراد به العموم أو بمعنى لأجل أى الأرض وضعها لأجل البشر ، وذكر الأنام دون غيرهم لأن المخصوص بالأنام الناس دون سائر المخلوقات .

وقيل : لكثرة انتفاع الأنام بها[5] قال تعالى : ﴿ فِيهَا فَاكِهَةٌ ﴾[6] جار

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ١٧٤/٢ .سورة الحاقة من الآية : ١١ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن ١٥٧/٢ .

(٣) بصائر ذوى التمييز ص٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ .

(٤) الدر المصون ٦/ ٢٣٧ .

(٥) الفخر الرازى ٢٩ / ٩٣ .

(٦) سورة الرحمن من الآية : ١١ .

ومجرور خبر مقدم فاكهة مبتدأ مؤخر ، ونكر الفاكهة للتفخيم والتعظيم ، وخص الفاكهة دون بقية الثمار ثم قال ﴿وَالنَّخْلُ﴾ بعطف النخل على الفاكهة ، لأن الفاكهة ما تطيب بها النفس ، وهي فاعلة إما على طريقة: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[1] أي ذات رضى يرضى بها كل أحد ، وإما على تسمية الآلة بالفاعل يقال : راوية للقربة التي يروى بها العطشان ، وفيه معنى المبالغة كالراحلة لما يرحل عليه ، ثم صار اسماً لبعض الثمار وضعت أولاً من غير اشتقاق واقتصر على النخل لأنه أعظمها وأكثرها بركة[2] ولأن الأشجار المثمرة أفضل الأشجار وتنقسم إلى أشجار فواكه لا يقتات بها ، وإلى ثمار يقتات بها ، وقد يتفكه بها كما أن الفاكهة يقتات بها ، فإن الجائع إذا لم يجد إلا الفواكه يتقوت بها يأكل غير متفكه بها ، والحكمة من تقديم الفاكهة على القوت من باب الابتداء والفاكهة في النفع لها أهمية ؛ إلا أن النخل يتقوت به ، ويتفكه به ، ويستشفى به وهو دون الحب الذي عليه المدار في سائر المواضع ؛ فالحب أتم نعمة، والحكمة من تنكير الفاكهة وتعريف النخل أن القوت يحتاج إليه في كل زمان متناول في كل حين وأوان ؛ والفاكهة في بعض الأزمان . والفاكهة غير متعينة فمن غلب عليه مرارة وعطش ، ومنها الحامض وكذا غير ذلك، والفاكهة غير متعينة فنكرها ، والنخل والحب معتادان مطومان فعرفهما ، كما أن نعم الله عظيمة على الإنسان بكل ما خلق الله ، قال تعالى : ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[3] وقد ذكرت الفاكهة باسمها لا باسم أشجارها ، وذكر النخل باسمها لا باسم ثمرها قال تعالى

---

(١) سورة الحاقة من الآية : ٢١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٠٩/٤ بتصرف .

(٣) سورة الواقعة آية : ٣٢ ، ٣٣ .

في سورة يس ﴿مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾[1] وهو أن شجرة العنب ، وهي الكرم بالنسبة إلى ثمرتها وهي العنب خضره ، وشجرة النخل بالنسبة إلى ثمرتها عظيمة ، وفيها من الفوائد الكثيرة ، فثمرتها في أوقات مختلفة كأنها ثمرات مختلفة ، فهي أتم نعمة بالنسبة إلى الغير من الأشجار ، فذكر النخل باسمه وذكر الفاكهة دون أشجارها ، فإن فوائد أشجارها في عين ثمارها[2] .

وخص الفاكهة والنخل في سورة الرحمن ، وفي سورة يس النخيل والأعناب والفاكهة ذكرت بالجمع ، لا بالإفراد لتشمل أنواع المطعوم من جميع الفواكه الحامض والحلو ، وغير ذلك . وفي الحديث : " الولدُ رَيْحانُ اللّهِ " . وقوله : سُبْحَانَ اللّهِ ورَيْحَانه " نصبوهما على المصدر، يريدون : تنزيهاً له واسترزاقاً[3] .

---

(١) سورة يس من الآية : ٣٤ .

(٢) الفخر الرازي ٢٩ / ٩٤ بتصرف .

(٣) اللباب في علوم الكتاب ١٨ / ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

وبعد الاستعانة بالله -عزوجل- وبعد ما ذكر العلماء والبلاغيون آراءهم أقول بالله التوفيق :

بعض اللطائف التي تفيد البحث إن شاء الله تعالى :

١ــ في الآيات السابقة إبداع في الآذان يعجز عن وصف كنهه البشر، يسمو ويرتفع بحروف الكلام ، لتسمع حروف نعرفها، وكلمات نألفها ، ولها قدر وسمو ، وعلو ، وإعجاز بديع ، وحسن تلاحم ، واتساق بديع ، وبيان يأخذ بالألباب ، ومعان لا ندرى أهى أسبق من اللفظ ، أم اللفظ أسبق ، كلمات من نور فيها الأمر والنهى ، والتشريع المحكم ، والمنهاج السليم ، والفاصلة القرآنية كلمةٌ آخر كل آية ، وهى عبارة عن حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها الأفهام تفصل بين الآى وتميز بينها[1].

وقد تناول العلماء الحديث عن الفاصلة القرآنية في كثير من أمهات الكتب [2] .

وقد وردت الآيات القرآنية متمكنة في مكانها مستقرة في موضعها غير قلقة ؛ يتعلق معناها بما قبلها ، لها أسلوب خاص مميز ، فيه من المعانى والبيان والبديع ما يضفى على الألفاظ حلل البيان مع عذوبة ورقة ، ودقة ، وتأثير في النفس ، ولأن القرآن الكريم إبداع من إبداع

---

(١) خصائص التفسير القرآني وسماته البلاغية ٢١٨/١، وإعجاز القرآن للباقلاني ص٩٧ ، والفاصلة القرآنية د/ عبد الفتاح لاشين ص١١ .

(٢) كتاب الصناعتين ص٢٨٦ ، سر الفصاحة لابن الخفاجى ص٢٠٣ والمثل السائر لضياء الدين بن الأثير مجلدا ص١٩ ، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ٢٩٩/٢ ، والفاصلة القرآنية ١٤٦/١ ، علم البلاغة ص٢١٥ والنبأ العظم د / محمد عبد الله دراية وخصائص التعبير القرآني ص٢٢٠ وبديع القرآن لابن المعتز ص٩٣ .

الرحمن قال تعالى : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[1] ففي الآيات المذكورة تمكين لا يكون إلا في المعجزة الخالدة الباقية على مر الزمان فالقرآن الكريم كل كلمة موصوفة بالذروة العليا اعتدالاً وتناسباً ، من حيث دلالة الألفاظ على المعاني ، ودلالة التضمين مع دقة الألفاظ والمعاني والتصوير ، مع التحام النسج ، والحكمة والعبرة واختصاص لم يكن إلا في القرآن الكريم، قال تعالى ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴾ خص الحب للاختصاص لما له من أهمية ، لأن من الحب ما هو غذاء للإنسان ولجميع المخلوقات .

وقيل : الحَبُّ الرزق ولكن شُرف الإنسان بالرائحة الطيبة وذلك لأن الإنسان يتميز بالحواس الخمس الظاهرة ، والشم من الحواس الخمس فالرائحة الطيبة تخص الإنسان وهذا من النعم جليلة القدر وأجل هذه النعم نعمة الدين الذي به تتم الصالحات قال تعالى : ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[2] والخطاب للثقلين لأن النعم المذكورة لخيري الدارين والتعبير عنها بلفظ الآلاء من أجل أنها النعم المخصوصة بالملوك لما لها من اللمعان والصف المميز لها من غيرها ، ولما لرؤيتها من الخير والدعاء، والأصل بالهمزة واللام ، فإذا أنعم إليهما لام أخرى أو ألف ازداد المعنى الذي كان ظهوراً لأن الألف عين الهمزة وباطنها ، واللام هي عين ما كان فلم يحصل خروج عن ذلك المعنى ، فإذا نظرنا إلى الآل كان المعنى أن تلك النعم الكبار الملوكية تظهر للعباد معرفته سبحانه وأنه يؤل إليه كل شيء أولاً من غير نزاع كما أنه كان بكل شيء ، وتكل عن نظرها

---

(١) سورة هود آية : ١ .

(٢) سورة الرحمن آية : ١٣ .

الأبصار النوافذ كما تكل عن رؤية الأشخاص التي يرفعها الآل لأنها تدل عليه سبحانه وذلك لأن لا نعمة تدل مثل ما دل عليه سبحانه[1] .

ففي قوله ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ تذييل لما قبله[2] فكان الالتفات من المتكلم إلى الخطاب إذ مبنى افتتاح السورة على الخطاب مع كل من يسبح ، فكأنه لما قال : ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ قال : اسمعوا أيها السامعون ، والخطاب للتقريع والزجر كأنه تعالى نبه الغافل المكذب على أنه يفرض نفسه كالواقف بين يدي ربه يقول له ربه : أنعمت عليك بكذا وكذا ، ثم يقول : ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[3] تكذبون سبحان الله .

وفائدة ذكر الرب في قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أتى بالفاء لترتيب الإنكار والتوبيخ على ما فصل من فنون النعماء وصنوف الآلاء الموجبة للإيمان والشكر حتما والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية والتربية مع الإضافة إلى ضميرهم لتأكيد التنكير وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم بشيء من آلائه تعالى كفرهم به إما بإنكار كونه منه – عز وجل – مع عدم الاعتراف بكونه نعمة في نفسه كتعليم القرآن وما يستند إليه من النعم الدينية وإما إنكار كونه منه – تعالى – مع الاعتراف بكونه نعمة في نفسه كالنعم الدنيوية الواصلة إليهم بإسناده إلى غيره سبحانه استقلالاً أو اشتراكاً صريحاً أو دلالة فإن إشراكهم لآلهتهم به تعالى في العبادة من دواعي إشراكهم لها به تعالى فيما يوجبها والتعبير على كفرهم المذكور بالتكذيب لما أن دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الإيمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها [ أي

---

(١) نظم الدرر ٣٧٨/٧ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٧ / ٢٤٣ .

(٣) الفخر الرازي ٢٩ / ٩٧ .

النعم المذكورة ] تكذيب لا محالة أي فإذا كان الأمر كما فصل فبأي فرد من أفراد نعم مالككما ومربيكما بتلك النعم تكذبان[1] .

وقد يراد بها التعقيب [ لأنه عقب النعم السابقة قال ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ثم ذكر نعماً أخرى عقب النعم الأول ، وقال ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قيل : وقرئ في جميع السورة بتنوين " أيٍّ " ، وتخريجها : على أنه قطع " أيًّا " عن الإضافة إلى شيء مقدر ، ثم أبدل منه " آلاء ربكما " بدل معرفة من نكرة ، ومفردها في الأعراف "[2] .

وكرر قوله تعالى : ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ بعد كل آية في السورة الكريمة أن المنكر إذا تكرر إنكاره جداً بحيث أحرق الأكباد في المجاهرة بالعناد حسن سرد ما أنكره عليه ، فالتكرار في هذه الحالة يفيد التعريف بأن إنكاره تجاوز الحد ، ولتغاير النعم وتعددها واختلافها حسن تكرير التوقيف عليها واحدة تنبيهاً على جلالتها ، فإذا كانت نعمة فالأمر فيها واضح ، وإن كانت نقمة فالنعمة دفعها أو تأخير الإيقاع بها ، ولما تقدم من أن كل تذكير بما أفاده الله تعالى من النعم بالحواس الخمس مضروبة في الجهات الستّ على أنك إذا اعتبرت نفس الآية وجدتها مشيرة إلى ذلك ، فإن كل كلمة منها – إلا الأخيرة في رسم من أثبت ألفها من كتبة المصاحف – خمسة أحرف أن اعتبرت هجاء الأولين والثالثة خمسة في الرسم ستة في الهجاء والنطق ، فهي للحواس وللجهات لأن الكل من الرب ، والكلمة الأخيرة ستة أحرف إن اعتبرت رسمها في المصاحف التي أسقطت ألفها ، فإن في إثباتها وحذفها اختلافاً بين أئمة المصاحف ،

---

(١) روح المعاني ٢٧ / ١٠٤ .

(٢) اللباب في علوم الكتاب ١٨ / ٣٠٩ .

وهي إشارة إلى الجهات التي يملك الإنسان التصرف فيها ، أما الحواس فلا اختيار له فيها ، وإن اعتبرت هجاءها بحسب النطق كانت سبعة أحرف إشارة إلى أن النعم أكثر من أن تحصى لما تقدم من أسرار عدد السبعة وإلى أن تكذيب المكلفين متكاثر جداً ، فلذلك كان في غاية المناسبة أن تبسط هذه النعم على عدد ضروب الحواس الخمس في الجهات الست ، وذلك في الحقيقة فائدة ، فإنه من المألوف المعروف والجميل الموصوف أن التكرير عند التكذيب يوجب التكرير عند التقرير ، ويبلغ به النهاية في حسن التأثير وزاد العدد على مسطح الخمس في الست واحدة إشارة إلى أن نعم الواحدة لا انقطاع لها ولذلك فصلت إلى ثمان ذكرت أولاً عقب النعم ، فكانت على عدد السبع الذي هو أول عدد تام لأهمية جمع الفرد والزوج ، وزوج الفرد وزوج الزوج ، وزاد بواحد إشارة إلى أنه كلما انفعت دور من عدد تام جدير لنعم أخرى فهي لا تتناهى لأن موليها له القدرة الشاملة والعلم التام ورحمته سبقت غضبه ، وفي كونها ثمانية إشارة إلى أنها سبب إلى الجنة ذات الأبواب الثمانية إن شكرت ، وفي تعقيبها بسبع نارية إشارة إلى أنها سببتها للنار أقرب لكونها حفت بالشهوات ، وفي ذلك إشارة إلى أن من اتقى ما توعد عليه بشكر هذه النعم وقي أبواب النار السبعة ، ثم عقبها بثمانية ذكر فيها جنة المقربين إشارة إلى أن من عمل لما وعده كما أمره به الله نال أبواب الجنة الثمانية ، وثمانية أخرى عقب جنة أصحاب اليمين إشارة إلى مثل ذلك والله أعلم .

وكان ترتيبها في غاية الحسن ، ذكرت الله أولاً استعطافاً وترغيباً في الشكر ثم الأهوال ترهيباً ودرأ للمفسدة بالعصيان والكفر ثم النعم الباقية لجلب المصالح .

وبدأ بأشرفها فذكر الجنة العليا لأن القلب بالتخويف يكون أنشط

والهمم تكون أعلى والعزم يكون أشد ، فحينئذ هذه الآية الأولى من الإحدى والثلاثين مشيرة إلى أن نعمة البصر من جهة الأمام، فكأنه قيل : أبنعمة البصر مما يواجهكم أو غيرها تكذبان .

ولما كان قد تقدم في إشارة الخطاب الامتنان بخلق الإنسان ، ثم ذكر أصول النعم عليه على وجه بديع الشأن ، إلى أن ذكر غذاء روحه : الريحان ، أتبع ذلك تفصيلاً لما أجمل فقال : ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾[1].

لما عدَّ سبحانه النعم الدنيوية والأخروية التي هي من صميم العقيدة، والعلم بها ضروري ؛ وذلك للعلم بأنه الله الواحد الأحد منزل النعم قال تعالى : ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[2] وقال تعالى ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾[3] .

وقال سبحانه ﴿رَبِّكُمَا﴾ الخطاب للثقلين المكلفين دون سائر المخلوقات لتميزهم بالعقل قال تعالى : ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ تمهيداً للتوبيخ على إخلالهم بمواجب شكر النعمة المتعلقة بذاتي كل واحد من الثقلين والمراد بالإنسان آدم عند الجمهور وقيل : الجنس ، والصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة وأصله كما قال الراغب : تردد الصوت من الشيء اليابس ومنه قيل : صل المسمار وقيل : هو المنتن من الطين حتى تحجر ، وسمي بذلك لصوته إذا نقر كأنه تصور بصورة من يكثر التفاخر وقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب جعله طيناً ثم حمأ مسنوناً ثم صلصالاً فلا تنافي بين

---

(١) نظم الدرر ٣٧٨/٧ ، ٣٧٩ .

(٢) سورة الذاريات آية : ٢١ .

(٣) سورة الذاريات آية : ٢٠ .

الآية الناطقة بأحدهما وبين ما نطق بأحد الآخرين .

﴿ وخلق الجان ﴾ هو أبو الجن وهو إبليس قاله الحسن وقال مجاهد : هو أبو الجن وليس بإبليس وقيل : هو اسم جنس شامل للجن كلهم من مارجٍ من لهب لا دخان فيه .

وقيل : هو اللهب المختلط بسواد النار أو بخضرة وصفرة وحمرة و﴿ مِّن ﴾ لابتداء الغاية وقوله تعالى :﴿ مِّن نَّارٍ ﴾ بيان لـ﴿ مارج ﴾ والتنكير للمطابقة ﴿ مِّن ﴾ ابتدائية فالتنكير لأنه أريد نار مخصوصة متميزة من بين النيران لا هذه المعروفة، وأياً ما كان فالمارج بالنسبة إلى الجان كالتراب بالنسبة إلى الإنسان[1] .

وفي الآية رد على من يزعم أن الجن نفوس مجردة ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ وأيٌّ من سوابغ النعم[2] .

التكرير طرد للغفلة وتأكيد للحجة[3] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ خطاب مع الإنس والجن ، يُعدد عليهم النعم بل على الإنسان وحده ، ولبيان فضل الله تعالى على الإنسان حيث بين أنه خلق من أصل كثيف كدر ؛ وخلق الجان من أصل لطيف ، وجعل الإنسان أفضل من الجان ، فإنه إذا نظر إلى أصله علم أنه ما نال الشرف إلا بفضل الله تعالى : فكيف يكذب بآلاء الله .

إن الآية لبيان القدرة لا لبيان النعمة وفي الحديث "خُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ

---

(١) سورة الرحمن من الآية : ١٦ .

(٢) روح المعاني ٢٧ / ١٠٥ .

(٣) اللباب في علوم الكتاب ١٨ / ٣١٢ .

مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»[1] .

والاستفهام للتقريع والتوبيخ[2] .

خص الإنس والجن لثقلهما على الأرض ، أو الرزانة ـ أيهما وقدَّرهما أو لأنهما مثقلان بالتكليف وقيل : يقال لكل عظيم مما يتنافس فيه ثقل ، ومنه قوله ﷺ « إني تاركٌ فيكم ثَقَلَيْن كتابَ الله وعِتْرتي »[3].

وفي السورة التقسيم العجيب البديع وهو أن يذكر متعدد ثم يضاف إلى كل من أفراده ما له على جهة التعيين نحو : ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾[4] وقد استوفت السورة أقسام المذكور أى الشئ نحو ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴾[5] فذكر في السورة أحوال الشئ مضافاً إلى كل منها ما يليق به كقوله تعالى:﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾[6] قال تعالى

---

(١) صفوة التفاسير ٣/ ٢٧٧ . والحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزهد باب في أحاديث متفرقة ج ٨ ص ٢٢٦.

(٢)صفوة التفاسير ٣/٢٧٧ .

(٣) تفسير البيضاوي ٢/ ٥٣١ ، وروح المعاني ٢٧ / ١١٢ بتصرف . والحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ، ج ٥ ص ١٦٩ ط : مكتبة الزهراء – الموصل – ١٤٠٤ – ١٩٨٣ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي . بلفظ : " إني تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي وَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حتى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ".

(٤) سورة الحاقة من الآيات : ٤ ، ٥ ، ٦ .

(٥) سورة طه آية : ٦ .

(٦) سورة المائدة من الآية : ٥٤ وجواهر البلاغة ص٣٠٢ بتصرف .

﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ سمته الغالبة على معظم قصصه ، والقصص القرآني يأتي تسلية لسيدنا رسول الله ﷺ ونصر الله رسله ، وجنده ، وتهديد المخالفين وبيان لمصير أمثالهم لعلهم يرتدعون ، وينتهون عن غيهم ، والقصص القرآني حقائق يراد إثباتها لتؤدى دورها في كل عصر ، متى توافرت دواعيها[1] .

قيل : المارج هو المختلط وهو اسم فاعل بمعنى اسم المفعول مثل دافق ، وعيشة راضية[2] .

**وبعد الاستعانة ـ بالله عز وجل ـ أذكر بعض اللطائف البلاغية التى تثرى وتفيد البحث إن شاء الله ـ تعالى ـ**

قال سبحانه : ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ... ﴾ الخ [3] .

قدَّم خلق الإنسان على الجان، مع العلم بأن خلق الجان قبل الإنسان:

١ــ إعمار الأرض بالبشر ، كما أن الرسائل السماوية من الله ــ عز وجل ــ للأنبياء والمرسلين من البشر لخير الثقلين في الدارين ، والكتب السماوية وضحت ذلك لمن لم يعاصر الأنبياء والمرسلين ، وقد خص المعجزة الكبرى ، معجزة سيدي رسول الله ﷺ والقرآن الكريم لأنه جمع إعجاز الأولين والآخرين وجيئ بـ ﴿من﴾ لابتداء الغاية وأن رسالة سيدنا رسول الله ﷺ باقية على مر الزمان تشهد بعظمة الواحد الأحد والله ــ عز وجل ــ تكفل بحفظ القرآن الكريم قال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ

---

(١) خصائص التفسير القرآني ١/ ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٧/٢٤٥ .

(٣) سورة الرحمن من الآية : ١٥ .

نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1] .

قال تعالى: ﴿ أَشَدُّ مِنَ النَّاسِ ﴾[2] وخص الصلصال دون التراب والله أعلم لأن الصلصال يشمل التراب ، لأنه يشمل الطين المطبوخ بالنار ويشمل كونه تراباً قبل الطبخ ، وأتى بالفاء للتشبيه في قوله : ﴿كَالْفَخَّارِ﴾ وذلك بتشبيهه بالفخار وهو الخزف مستعمل على أصل الاشتقاق ، وفيه مبالغة في وصف الإنسان[3] .

أتى بالكاف والأصل فيها أن يليها المشبه به ، وقد يليها مفرد لا يتأتى التشبيه به[4] والفائدة التجسيم المعنوى وجعل المشبه به عين المشبه ، وخص الفخار لشدة تحمله دون غيره ، ولأنه سريع التأثر بالعظة والعبرة ، ولأن الإنس غير مراوغ بخلاف الجن فهو سريع التشكل والمراوغة ، وعطف الجملة الثانية على الأولى لتأخذ نفس الحكم بأنهم مكلفون مثل الإنس تماماً ، وسيحاسبون على كل أفعالهم ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، قال تعالى ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[5] وللترابط المعنوي بين الجن والإنس بالتكليف الموجب للحساب ، وبإرسال الرسل وبإنزال الكتب السماوية وخصص الإنس بصلصال كالفخار وذلك تشريفاً وتعظيماً لشأن الإنس وذلك بأعظم رسل الله عز وجل سيدنا محمد ﷺ وخصص المارج بالنار لأن أصل خلقه من نار ، فجاءت الآيات مرتبة ترتيباً بديعاً حسناً لو جعل غيرها مكانها يكن لها هذا التأثير ، وهذه

---

(١) سورة الحجر آية : ٩ .

(٢) سورة إبراهيم من الآية : ٣٧ .

(٣) الفخر الرازي ٢٩ / ٩١ .

(٤) المرجع السابق ٢٩/٩٢ .

(٥) سورة فاطر من الآية :١٨ .

المزية وأتى بـ﴿من﴾ في قوله:﴿ مِّن نَّارٍ ﴾ لتبيين نوع المارج .

وختمت الآية بما يناسب أولها في المعنى من صلصال كالفخار مع اتساق وإيقاع ، غير مضطربة هادئة ذات موقع وتأثير عجيب وتمكن حسن ﴿ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ وهو ما اشتق من مصدر المبني للفاعل لمن وقع منه الفعل ، أو تعلق به وهو من الثلاثي على وزن فاعل نحو ناصر، وضارب ، وقاتل ، فكان مناسباً هنا اسم الفاعل لا المفعول[1].

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ الحكمة من الخطاب قيل : الالتفات إذ مبنى افتتاح السورة على الخطاب مع كل من يسمع ، كما ورد الخطاب للتقريع والزجر كأنه قال تنبيه للغافل المكذب على أنه يعرض نفسه كالواقف بين يدي ربه يقول له عز وجل : أنعمت عليك بكذا وكذا ، ثم يقول : فبأي آلائي تكذب أيها الإنسان وأيها الجان[2] .

وهذه الإشارة التي تملأ القلب بفيض غامر من الشعور بوجود الله ، حيثما توجهنا ، وحيثما امتد بنا النظر حولنا في الآفاق. ففي الشروق وفي الغروب الله . . ربوبيته ومشيئته وسلطانه ، ونوره وتوجيهه وهدايته[3] . فبعد الغروب شروق ، وبعد الشروق غروب .

وبين الإنس والجن طباق معنوي ، من الطباق البديع الذي يقوى المعنى ويوضحه ، وذكر ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴾، ﴿خَلَقَ الْجَانَّ ﴾ وجاء بالفعل الماضي لبيان أصل الخلقة ، وتذكيراً بنعم الله عز وجل .

قال تعالى : ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ قيل مشرق الشمس والقمر

---

(١) شذا العرف في فن الصرف ص٧٤ .

(٢) الفخر الرازي ٢٩ / ٦٧ بتصرف .

(٣) في ظلال القرآن ٦/٣٤٥٢ .

ومغربهما والبيان حينئذ في حكم إعادة ما سبق مع زيادة .

وقيل : مشرق الشتاء ومشرق الصيف ، والحكمة في اختصاصهما مع أن كل يوم من ستة أشهر للشمس مشرق ومغرب يخالف بعضها البعض لأن غاية انخفاضها في الشتاء وغاية ارتفاعها في الصيف فهذا الإعجاز والإبداع في الشمس والقمر وتعاقبهما يدل على رب معبود وإله قادر وحاكم عادل ، ملك عظيم له المشرق والمغرب .

والتثنية إشارة إلى النوعين الحاضرين فتناول الكل فهنا تثنية في معنى الجمع ، وقيل : مشرق القلب واللسان ومغرب القلب واللسان[1] ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ خبر مبتدأ محذوف أى هو رب أو الذي فعل ذلك من الأفاعيل البديعة ، وقيل : مشرق الفجر ومشرق الشفق و المغربين مغرب الشمس ومغرب الشفق وسبحانه ربهما ورب ما بينهما من الموجودات وقيل : رب مبتدأ والخبر قوله تعالى : ﴿ مَرَجَ ﴾ رب بالجر على أنه مبدل من ربكما ، رب المشرقين هذا الأسلوب في الكلام من الأعداد ويكون غاية في الحسن لأنه أتى هنا بطباق ، وازدواج ، وهذا من روائع الأسلوب القرآني ، ومن إعجازه وإبهاره ، ومن التحدي في الكلام بحيث لا يستطيع أي إنسان بكل ما لديه من براعة وفصاحة وبيان وبلاغة أن يأتي بأقصر سورة من سور القرآن العظيم ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ رب المشرقين .. الخ استئناف ابتدائي فيه بيان لجملة ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ وعطف ﴿ ورب المغربين ﴾ لمراعاة المزاوجة وحذف المسند إليه بإتباع الاستعمال الوارد وترك نظائره[2]

---

(١) النكت والعيون تفسير الماوردى ٤٢٩/٥ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٧ / ٢٤٧ .

وربوبية الله ـ عز وجل ـ للمشرقين والمغربين بمعنى الخلق والتصرف[1] .

وقيل : رب المشرقين ورب المغربين لأن في كل آية آية ، ويسمي ذلك أرباب القلوب[2] .

**ويعد الاستعانة الله ـ عز وجل ـ أذكر بعض اللطائف البلاغية التي تثري وتفيد البحث بإذن الله تعالى :**

ـ ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ بين المشرقين والمغربين طباق حسن بديع بين اسمين المشرق والمغرب وضح المعنى وبينه أحسن بيان .

ـ قال سبحانه ﴿ رب ﴾ ولم يقل ﴿ربكما﴾ وخاصة أن الخطاب للثقلين لما ذكر المشرقين والمغربين كان مناسباً لهما ﴿ رَبُّ ﴾ مراعاة للحقيقة أولاً بأنه يجب أن يكون للمشرقين والمغربين إله واحد أحد صمد لم يكن له صاحبة ولا ولد حي قيوم .

ثانياً : مراعاة للفصاحة في الكلمة والكلام والبلاغة في الكلام ، وقدم ﴿ رَبُّ ﴾ للأهمية التي تفيد الاختصاص بأنه سبحانه مالك الملك وذلك أدعى لشكر نعمه ، وقدم خلق الإنسان والجن على رب المشرقين والمغربين لأن بالثقلين إعجاز الكون ، وذكر المشرقين والمغربين بالتثنية مراعاة للفاصلة القرآنية ، ولمناسبة ما تقدم من الآيات المتراصة في حبل الطاعة ، المنتظمة تنظيماً إلهياً حسناً بديعاً ، كما قدم المشرقين على المغربين لأن الغروب مترتبٌ على الشروق ففي الآية

---

(١) المرجع السابق ٢٧ / ٢٤٧ .

(٢) البحر المحيط ١٩١/٨ .

الترتيب الحسن ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أورد سبحانه نعماً لا تعد ولا تحصى فاللهم اجعلنا من الشاكرين في الدارين .

قال تعالى : ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾[1] .

والبحران مثل طريق الخير وطريق الشر ، والبرزخ الذي بينهما التوفيق والعصمة[2] .

ولما ذكر - سبحانه - المشرقين والمغربين وهما حركتان في الفلك ناسب ذلك ذكر البحرين لأن الشمس والقمر يجريان في الفلك كما يجري الإنسان في البحر قال تعالى:﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، فذكر البحرين عقيب المشرقين والمغربين ولأن المشرقين والمغربين فيهما إشارة إلى البحر لانحصار البر والبحر بين المشرق والمغرب ، لكن البر كان مذكوراً بقوله تعالى : ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ ، فذكر ههنا ما لم يكن مذكوراً[3] .

قيل : ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ وما بينهما اعتراض[4] .

وقيل : مجازهما مجاز قولك فرحت دابتك خليت عنها وتركتها[5] وقيل : أي يتجاوران ، فلا فصل بين الماءين في رؤية العين .

وقيل : يلتقيان في كل سنة مرة . وقيل : معدان للالتقاء[6] .

واختلف أهل العلم في البحرين اللذين ذكرهما الله - جل ثناؤه - في هذه الآية أي البحرين هما بحران أحدهما في السماء والآخر في الأرض

---

(١) سورة الرحمن آية : ١٩ ، ٢٠ .

(٢) النكت والعيون ٥/٤٣٠ .

(٣) الفخر الرازي ٢٩ / ١٠٠ .

(٤) فتح القدير ٥/١٧٧ .

(٥) مجاز القرآن ٢/٢٤٣ .

(٦) البحر المحيط ٨/١٩٠ .

يلتقيان كل عام ، وقيل بحر القرس وبحر الروم ، وذكر أبو جعفر الطبرى أن الأرجح بحر السماء وبحر الأرض، وذلك أن الله تعالى قال: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ يخرج ذلك عن طريق بحر الأرض عن قطر ماء السماء[1] قال تعالى ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[2] .

لما ذكر سبحانه المشرقين والمغربين وهما حركتان في الفلك ناسب ذلك ذكر البحرين ، لأن الشمس والقمر يجريان في الفلك كما يجري الإنسان في البحر قال تعالى : ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ فذكر البحرين عقيب المشرقين والمغربين وفيهما إشارة إلى البحر لانحصار البر والبحر بينهما ، والبر كان مذكوراً بقوله تعالى : ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ فذكر ههنا ما لم يكن مذكوراً[3] .

وقيل : أرسلتها أي البحر الملح والبحر العذب[4] .

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ من أسلوب الازدواج في الكلام يرقى بالأسلوب أكمل مراقيه لتدل كل مرة وكلمة وآية على صاحب المعجزة الخالدة الباقية ويدل كل حرف وكلمة وآية على الخلاق العظيم رب العرش العظيم، ويجوز أن تكون التثنية تثنية بحرَيْن ملحين معينين ، والتعريف للعهد الحضوري ، فالمراد : بحران معروفان للعرب .

وقيل : المراد : البحر الأحمر الذي عليه شطوط تهامة مثل : جدّة

---

(١) جامع البيان ١١/٧٥ .

(٢) سورة الرحمن الآيات : ١٩ ، ٢٠ ، ٢١.

(٣) الفخر الرازي ٢٩ / ١٠٠ .

(٤) روح المعاني ٢٧ / ١٠٥ بتصرف ، تفسير البيضاوي ٢/٥٣٠ .

ويُتبع النخل ، وبحر عُمان وهو بحر العرب الذي عليه حَضْرموت وعَدَن من بلاد اليمن .

والبرزخ : الحاجز الفاصل وهو مضيق باب المَنْدبَ حيث يقع مرسى عَدَن ومرسى زَيلع ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ [1] وقال سبحانه ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ [2] واستخراج سمكه والتطهر بمائه وجملة ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ وجملة ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ ما لان من ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ وجملة ﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾ مبينة لجملة ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ [3] حاجز من قدرة الله تعالى [4] ﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾ لا يتجاوزان حدّيهما، ولا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة [5] قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ أي الله – عز وجل – اللؤلؤ : الدرّ والمرجان : صغاره قال : ﴿مِنْهُمَا﴾ وإنما يخرجان من الملح ؟ قلت : لما التقيا وصارا كالشيء الواحد : جاز أن يقال : يخرجان منهما ، كما يقال يخرجان من البحر ، ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه .

وقيل : لا يخرجان إلا من ملتقى الملح والعذب [6] .

وقيل : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ أي أن الماء أصل لمخلوق آخر له قدر وقيمة [7] والمرجان جيد اللؤلؤ [8] .

---

(١) سورة النحل من الآية : ١٤.
(٢) سورة يونس من الآية : ٢٢.
(٣) التحرير والتنوير ٢٤٩/٢٧ .
(٤) الكشاف ٤٥/٤ .
(٥) المرجع السابق ٤٥/٤ .
(٦) المرجع السابق ٤٥/٤ .
(٧) صفوة التفاسير ٥٧٨/٣ .
(٨) جامع البيان ٧٧/٧ .

وقيل : جمع مرجانة وأنه الصغار من اللؤلؤ .

ورأيــــت زوجـــك فـــي الـــوغى
متَقلّـــــدا سيفـــــاً ورُمحـــــا

عن عكرمة قال ما نزلت قطرة من السماء والبحر إلا كانــت بهــا لؤلؤة أو بينها عنبرة ، يخرج منهما على وجه ما لم يسم فاعلــه بفــتح الباء[1] .

وقيل : البرزخ : أجرام الأرض،﴿لاَّ يَبْغِيَانِ﴾ على الناس والعمران ، وعلى هذا والذي قبله يكون من البغي .

وقيل : هو من بغى ، أي طلب ، فالمعنى : لا يبغيان حالاً غير الحال التي خلقا عليها وسخرا لها .

وقيل : ماء الأنهار لا يختلط بالماء الملح ، بل هو بذاته باق فيــه ، أنشد القاضي منذر بن سعيد البلوطي ، رحمه الله تعالى :

وممزوجـــة الأمـــواه لا العـــذب غالـــب
علـــى الملـــح طيبـــاً لا ولا الملـــح يعـــذب

وقرأ الجمهور : ﴿ يَخْرُجُ ﴾ مبنياً للفاعل .

وقيل : مبنياً للمفعول .

وقيل : يخرج الله ، وقال الرماني : العذب فيها كاللقــاح للملــح ، تختص عند التفصيل المبالغ بأحدهما ، كما قال:﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً ﴾[2]

---

(١) جامع البيان ٧/٧٧ .

(٢) سورة نوح آية : ١٦ .

مِـــن كُـــلِّ مَرْجانَـــةٍ فـــي البَحـــرِ أخْرَجَهـــا
غَوّاصُـــهَا وَوَقَاهَـــا طِينَهَـــا الـــصَّدَفُ[1]

وقيل : يتجاوزان وتتماس سطوحهما لا فصل بينهما في مرأى العين وقيل : يلتقيان حال مقدرة ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ ﴾ حاجز من قدرة الله تعالى أو من أجرام الأرض[2] .

( وعن عبد الله بن أبى أوفي رضي الله عنهما أن سيدنا رسول الله ﷺ بشر أمنا السيدة خديجة رضي الله عنها " بِبَيْتٍ فِى الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ " [3] متفق عليه القصب هنـا : اللؤلـؤ المجـوف والصخب الصياح واللفظ ، والنصب التعب وبين اللؤلؤ المرجان ترادف ، وذلك لأن اللؤلؤ كبار الدُّر ، والمرجان صغاره ويوجـد بينهمـا طبـاق معنوى ، أو طباق خفى من بديع الكلام ، وقرأ ﴿ يخرج ﴾ مبنيا للمفعول والياقوت مبنياً للفاعل على المجاز[4] .

وقيل : مبنيًّا للمفعول ، والباقون : مبنيًّا للفاعل على المجاز قالوا : ثم مضاف محذوف ، أي " من أحدهما " ؛ لأن ذلك لم يؤخذ مـن البحـر العذب حتى عابُوا قول الشاعر :

---

(١) البحر المحيط ١٩٢/٨ .

(٢) روح المعاني ٢٧ / ١٠٦ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها ج٣ص ١٣٨٩، وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ﴾ ج٦ ص ٢٧٢٣ ، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها ج٧ ص ١٣٣.

(٤) اللباب في علوم الكتاب ١٨ / ٣١٨ ، الجامع لإحكام القرآن للقرطبي ١٦٣/٧ .

فَجَــاءَ بِهَــا مَــا شِــئتَ مِــنْ لطَمِيَّــةٍ

علـــى وجْهِهَــا مَــاءُ الفُــراتِ يَمُــوجُ[1]

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ من الزينة والمنافع الجليلة [2].

وقيل : ذلك من الآبار ما لا يستطيع أحد تكذيبـــه ولا يقـــدر علـــى إنكاره[3] .

وقيل : أي نعمة عظيمة في اللؤلؤ والمرجان حتى يذكرهما الله مع نعمة تعلم القرآن وخلق الإنسان ؟!

النعم : منها خلق الضروريات كالأرض التي هي مكان ولولا الأرض لما أمكن وجود التمكن ؛ وكذلك الرزق الذي به البقاء ، وخلق المحتـــاج إليه وإن لم يكن ضرورياً كأنواع الحبوب وإجــراء الـــشمس والقمـــر ، ومنها النافع كأنواع الفواكه ، وخلق البحار قال تعالى : ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾[4]

ومنها الزينة وإن لــم يكــن نافعــاً كــاللؤلؤ والمرجــان، كقولـــه تعالى: ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾[5] ، فالله تعالى ذكر أنواع النعم الأربعة التي تتعلق بالقوى الجسمانية وصدرها بالقوة العظيمة التي هي الـــروح وهي العلم بقوله:﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ ولبيان عجائب الله تعـــالى ، فالأركـــان الأربعة ، التراب ، الماء ، الهواء ، النار[6] .

---

(١) الدر المصون ٦/٢٤٠ .

(٢) روح المعانى ٢٧ / ١٠٧ .

(٣) فتح القدير ٥/١٧٨ .

(٤) سورة البقرة من الآية : ١٦٤ .

(٥) سورة فاطر من الآية : ١٢ .

(٦) الفخر الرازي ٢٩ / ١٠٣ .

وبعد الاستعانة بالله ـ عز وجل ـ أذكر بعض اللطائف التي تثرى وتفيد البحث بإذن الله تعالى ، أقول وبالله التوفيق :

قال تعالى : ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ بمعنى أجرى البحرين بأمر الله ـ عز وجل ـ ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ البرزخ الحاجز : قال تعالى ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ، ﴿مَرَجَ﴾ من باب نصر [ كفتح يفتح ، ذهب يذهب ، سعى يسعى ، وضع يضع][1] وكلمة ﴿مَرَجَ﴾ جميع حروفها أصلية لا يسقط حرف منها في تصاريف الكلمة بغير علة[2] .

ذكر مرج ولم يقل خلط جعلهما لا يلتبس أحدهما بالآخر[3] .

في كلمة ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ طباق معنوى في معرض التعدد بذكر البحر المالح والعذب لما ذكر سبحانه تذكير الثقلين بنعم الله ـ عز وجل ـ على عباده ذكر العموم ، ثم خصص من النعم البحرين على وجه الخصوص قال تعالى : ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ ففي التعبير جمال الأسلوب وقوة الربط بين اللفظ والمعنى، ودقة الصنع وحسن السبك.

وعبر بقوله:﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ والالتقاء من خصائص الإنسان حذف الإنسان ورمز له بشئ من لوازمه وهو الالتقاء على سبيل الاستعارة المكنية وفي قوله ـ عز وجل ـ ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ كناية عن الكرم ، وفي الكلام المجاز الحسن البديع ذكر ﴿بَيْنَهُمَا﴾ في هذا المعنى الرهيب تظهر

---

(١) شذا العرف في فن الصرف ص٣ .

(٢) المرجع السابق ص٢٩ .

(٣) مختار الصحاح مادة مرج .

عظمة الحي القيوم الجليل وأثر قدرة الرحمن بوجود حائل من صنع الرحمن فالمالح لا يصير عذباً ، والعذب لا يكون مالحاً وهذا من إعجاز الله ــ عز وجل ــ في كونه .

وفي الكلام أسلوب التوكيد الذي يفيد التقرير ، وأتى بـ ﴿ لا ﴾ الناهية في قوله : ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ وهى تفيد طلب الكف عن الفعل على جهة الاستعلاء ، ولها صيغة واحدة المضارع المقرون بـ (لا) الناهية كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ﴾[1] فالنهى الإلهي له وقع خاص ودلالة واضحة ودراية وكأنما البحران يسمعان ويمتثلان لأمر الواحد الصمد ، بأن لا يبغى أحدهما على الآخر لأن لكل بحر خصائص ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ففي آياته إعجاز فإعجاز الله ــ عز وجل ــ يُرى بالعين ، ويسمع بالأذن ، ويحس في آلائه ، ويدرك في قرآنه سبحانه ، والآية تدل دلالة واضحة على كمال وتمام القدرة والجلال والعبرة والعظمة ، ولها من التأثير في النفس ما تحار فيه العقول مع التصوير وتقرير المعنى بأبلغ بيان ؛ وجودة السبك ، وقوة الرصف وحسن اتساق ، وتساوق الألفاظ والمعانى ، كما وضع سبحانه المحسوس موضع المعقول بقوله : ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ فكل أمره بالكاف والنون ، وعبر بقوله: ﴿يَخْرُجُ ﴾ التى تفيد المضارعة استحضاراً للصورة الماضية وتعبيراً عن الحال وحكاية للاستقبال ، والتجدد والحدوث في كل وقت وزمان ومكان ، فليس ذلك خاصاً بزمان أو مكان فالقرآن الكريم منهاج حياة للأولين والآخرين لكل المكلفين ؛ وذكر اللؤلؤ والمرجان وهما من

---

(١) سورة إبراهيم من الآية : ٢٢ .

أنفس أنواع الدّر للتنبيه على عظم ذلك قال تعالى : ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلامِ﴾[1] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[2]

المراد السفن الجارية في البحر ، والمنشآت المرفوعات ، التي رفع بعض خشبها على بعض ، وركب حتى ارتفعت ، وطالت حتى صارت في البحر كالأعلام وهى الجبال ، والعلم الجبل الطويل ، وقال قتادة : المنشآت ، المخلوقات للجري ، وقال الأخفش المنشآت المجريات[3] .

وقيل :

إذا قطعن علم بدأ علم

حتى تناهين إلى الحكم[4]

قيل : الوجه هنا ليس مجرد الفخامة ، بل هو ملاحظة الاستقرار مع كونها تجرى في البحر ، لا تضطرب ولا تميد ، مبدأ يؤدى لها إلى الهلاك وآثر هنا الأعلام مكان الجبال ، لأن العلم هو الجبل الطويل لا مطلق جبل ، ولا شك أن السفن أضخم وأكثر شموخاً من الموج وهذا ملحظ دقيق لاستعمال أحد المترادفين فيما هو به أولى لم يعرف ذلك بدقة وروعة ووضوح في غير القرآن[5] .

﴿الْجَوَارِ﴾ بكسر الراء وحذف الياء لالتقاء الساكنين،وقرئ برفع الراء تناسباً للحذف وقرأ يعقوب بإثبات الياء،وقرأ الجمهور ﴿الْمُنشَآتُ﴾

---

(١) سورة الرحمن آية : ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) سورة الرحمن آية : ٢٦ .

(٣) مجاز القرآن ص٢٤٤ .

(٤) الجامع لإحكام القرآن القرطبى ١٦٤/٧ .

(٥) خصائص التعبير القرآنى وسماته البلاغية ٢٦٣/٢ .

بفتح الشين وقرأ حمزة،وأبو بكر في رواية عنه بكسر الشين ﴿فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ فإن ذلك من الوضوح ، والظهور بحيث لا يمكن تكذيبه ولا إنكاره[1] .

وخص السفن سبحانه بأنها له وهو تعالى له ملك السموات والأرض وما فيهن للإشارة إلى كونهم هم منشئيها لا يخرجها من ملكه ـ عز وجل ـ حيث كان تمام منفعتها إنما هو منه عز وجل ، وقرأ عبد الله والحسن ، وعبد الوارث عن أبى عمرو ﴿ الْجَوَارِ ﴾ بإظهار الرفع على الراء لأن المحذوف لما تناسوه أعطوا ما قبل الآخر حكمه كما في قوله :

لهـــا ثنايـــا أربـــعٌ حـــسان
وأربـــعٌ فثغرهـــا ثمـــان

﴿ الْمُنشَآتُ ﴾ بكسر الشين أى الرافعات للشرع أو اللاتي ينشئن الأمواج بجريهن أو اللآتى ينشئن السير إقبالاً ، وإدباراً وفي الكل مجاز ، وقرأ الحسن ﴿ الْمُنشَآتُ ﴾ وحد الصفة ودل على الجمع الموصوف ، كقوله:﴿أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ ، وقلب الهمزة ألفاً وفي ذلك لطيفة لفظية وهى أن الله تعالى لما أمر نوحاً ﷺ باتخاذ السفينة قال:﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[2] ففي أول الأمر قال لها الفلك لأنها بعد لم تكن جرت ، ثم سماها بعد ما عملها سفينة كما قال تعالى:﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾[3]وسماها جارية ،

---

(١) فتح القدير ١٧٨/٥ .
(٢) سورة هود من الآية : ٣٧ . وينظر الفخر الرازي ١٠٣/٢٩، ١٠٤ .
(٣) سورة العنكبوت من الآية : ١٥ .

كما قال تعالى : ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾[1] .

وقد عرفنا أمر الفلك وجريها وصارت كالمسماة ،فالفلك قبلها الكل ، ثم السفينة ثم الجارية [2] .

﴿ الْجَوَارِ ﴾ وقيل : هي المرأة الشابة لأنه يجرى فيها ماء الشباب[3].

وقيل : ﴿ الْجَوَارِ ﴾ للإخبار بأنها له للتنبيه على أن إنشاء البحر للسفن لا يخرجها عن ملك الله[4] قرأ الجمهور ﴿الْمُنشَآتُ﴾ بفتح الشين ، فهو اسم مفعول ، إذا أُوجد وصُنع ، أي التي أنشأها الناس بإلهام من الله فحصل من الكلام منّتان منة تسخير السفن للسير في البحر ومنّة إلهام الناس لإنشائها[5] .

وقرأ : بكسر الشين فهو اسم فاعل ، فيجوز أن يكون مشتقاً من أنشأ السير إذا أسرع .

وقيل : المنشئات التي رفعت قلوعها والآية تحتمل المعنيين على القراءتين باستعمال الاشتقاق في معنيي المشتق منه ويكون في ذلك تذكير بنعمة إلهام الناس إلى اختراع الشراع لإسراع سير السفن وهما مما اخترع بعد سفينة نوح[6]

﴿فِى الْبَحْرِ كَالأَعْلَامِ﴾ سنة السفن الجارية في البحر بالأعلام في

---

(١) سورة الحاقة آية : ١١ .

(٢) الفخر الرازي ٢٩ / ١٠٤ .

(٣) النكت والعيون ٥/٤٣١ .

(٤) التحرير والتنوير ٢٧ / ٢٥١ .

(٥) المرجع السابق ٢٧ / ٤٣١ .

(٦) المرجع السابق ٢٧ / ٢٥٢

الضخامة والارتفاع ، ففي الآية الأسلوب الحسن البديع ، بياناً للقدرة كأنه قال : له السفن التي تجري في البحر كالأعلام ، أي كأنها الجبال والجبال لا تجري إلا بقدرة الله ــ عز وجل ــ فالأعلام جمع العلم الذي هو الجبل وأما الشراع المرفوع كالعلم الذي هو معروف، فلا عجب فيه ، وليس العجب فيه كالعجب في جري الجبل في الماء وتكون المنشآت معروفة ، كما أنك تقول : الرجل الحسن الجالس كالقمر فيكون متعلق قولك كالقمر الحسن ﴿ كَالأَعْلامِ﴾ ، يقوم مقام الجملة ، والجواري معرفة ولا توصف المعارف بالجمل ، فلا نقول: الرجل كالأسد جاءني ولا الرجل هو أسد جاءني ، وتقول:رجل كالأسد جاءني،ورجل هو أسد جاءني ، فلا تحمل قراءة الفتح إلا على أن يكون حالاً وهو على وجهين :

احدهما : أن تجعل الكاف اسماً فيكون كأنه قال : الجواري المنشآت شبه الأعلام .

ثانيهما: يقدر حالاً هذا شبهه كأنه يقول : كالأعلام ويدل عليه قوله: ﴿فِي مَوْجٍ ﴾[1] في جمع الجواري وتوحيد البحر وجمع الأعلام إشارة إلى عظمة البحر ، ولو قال : في البحار لكانت كل جارية في بحر ، فيكون البحر دون بحر يكون فيه الجواري التي هي كالجبال ، وأما إذا كان البحر واحداً وفيه الجواري التي هي كالجبال يكون ذلك بحراً عظيماً وساحله بعيداً فيكون الإنجاء بقدرة كاملة[2] .

---

(١) سورة هود من الآية : ٤٢ .

(٢) الفخر الرازي ٢٩ / ١٠٥ .

وبعد الاستعانة بالله ـ عز وجل ـ أبين بعض اللطائف التى تفيد البحث بحول الله وقوته :

في الآية الكريمة الوصل الحسن البديع وهو عدم الوقف لأن مقاطع الكلام واضحة ؛ لأن حال الجملة حال الاسم يكون غير الذي قبله إلا أنه يشاركه في حكمه ويدخل معه في معنى مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه فيكون حقها العطف[1] .

فالقرآن الكريم لغة وصل لا قطع أساس وبنيان معجزة خالدة من الله ـ عز وجل ـ لحبيبه خير خلق الله أجمعين إلى يوم الدين ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ خص سبحانه الثقلين بالمنافع باعتبارين:

أولاً : إما على أنهما هما المنفعة العظيمة للعباد على اعتبار أن الثقل الأكبر القرآن الكريم طرف بيد الله وطرف بيد العبد ، والنعمة الصغرى عترة سيدي رسول الله ﷺ وعلى ذلك يكونا من أجلّ وأعظم النعم من الله ـ عز وجل ـ على عباده بأن لا يقدموهما فيهلكوا أو يؤخروهما فيهلكوا كما قال سيدي رسول الله ﷺ وهذا هو الرأي الذي أرجحه لأنه قول سيدي رسول الله ﷺ .

والرأي الآخر الثقلين على رأى العلماء هما الأنس والجن والرأي الأصح كما قال الله عز وجل: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ﴾[2] بعد قوله ـ عز وجل ـ ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ على اعتبار أن الثقلين القرآن الكريم وعترة سيدنا رسول الله ﷺ بأن الله يعلم لا يشغله

---

(١) معاني التراكيب ٢/١٣٦ .

(٢) سورة الرحمن آية : ٣٣ .

شأن عن شأن ليعلم أن الله ـ عز وجل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وفي الآية أتى بلفظ ﴿له﴾ للتخصيص بالله ـ عز وجل ـ لأن له سبحانه ملك السموات والأرض واستعمل كلمة ﴿ الْمُنشَآتُ ﴾ ليدل على أصل النشأة وهى الارتفاع قال﴿ فِي الْبَحْرِ ﴾ ولم يقل على لأنها أفادت أن السفن في البحر لا على ، فبعد عظيم كرمه وعطاياه وآلائه يجب شكر المنعم بالروح والقلب وبالوجدان وبكل الكيان والله ولا بشئ من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد ولك الشكر .

ثم ذكر سبحانه بعد ذلك قوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ كل المخلوقات ، ذكر الوجه فأراد الذات أى ذات الحي الباقي الدائم الذي لا يموت ، عبر عن الجمع بإفظ ﴿ من ﴾ وقيل أراد من عليها من الجن والأنس،وقيل﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ أى ذاته ووجوده [1] .

وقيل : تبقى محبته التي يتقرب بها إليه ، والجلال : العظمة والكبرياء واستحقاق صفات المدح ، يقال : جلَّ الشأن عظم ، وأجللته.

وقيل : إنه ذو الإكرام لأوليائه ؛ والخطاب في قوله : ﴿ رَبِّكَ ﴾ للنبي ﷺ أو لكل من يصلح له ، وقرئ ﴿ ذا الْجَلَالِ ﴾ على أنه صفة لوجه وقرئ ﴿ ذُو الْجَلَالِ ﴾ على أنه صفة لرب[2] .

وقيل : الجملة استئناف ابتدائي قال الشاعر :

---

(١) روح المعانى ٢٧ / ١٠٨ .

(٢) فتح القدير ١٨/٥ . والتحرير والتنوير ٢٥٢/٢٧ .

قـــضى علـــى خلقـــه المنايـــا

فكـــل شـــيء ســـواه فـــاني(١)

وعلم السامعون أن الله ــ عز وجل ــ يستحيل أن يكون لـه وجـه بالمعنى الحقيقي وهو الجزء الذي في الرأس ،واصطلح علمـاء العقائـد على تسمية مثل هذا بالمتشابه ، ثم تناوله التابعون ومن بعدهم بالتأويل تدريجاً إلى أن اتضح وجه التأويل بالجرْي على قواعد علم المعاني فزال الخفاء ، واندفع الجفاء ، وكلا الفريقين خيرة الحنفاء ، وضمير المخاطب في قوله : ﴿ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ خطاب للنبي ﷺ وفيه تعظيم لقـدر سـيدنا رسول الله ﷺ صاحب القدر العظيم ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ وجـه النعمة في فناء الخلق وأن الموت سبب النقلة إلى دار الجزاء والثواب.

وقيل : وجه النعمة في فناء الخلق التسوية بينهم في الموت ، ومع الموت تستوي الأقدام(٢) .

وجئ بمن للتغليب أو للثقلين ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ ذاتـه الإضـافة بيانية وحقيقة الوجه في الشاهد الجارحة واستعماله في الـذات مجـاز كاستعمال الأيدي في الأنفس وهو مجاز شائع وقيـل : أصـله الجهـة واستعماله في الذات من باب الكناية ، الخطاب في ربك للرسول ﷺ وفيه تشريف عظيم له عليه الصلاة و السلام صاحب الخلق العظيم خير خلـق الله أجمعين من الله الملك الحق .

وقيل : للصالح له لعظم الأمر وفخامته .

وقيل : الوجه بمعنى القصد ويراد به المقصود أي ويبقى ما يقـصد

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦٥/١٧.

(٢) فتح القدير ١٨/٥ .

به ربك عز و جل من الأعمال .

وقيل : المراد الجهة التي أمرنا ـ عز وجل ـ بالتوجه إليها ، والتقرب بها إليه ـ سبحانه ـ ، ومرجع ذلك العمل الصالح والله جل شأنه يبقيه للعبد إلى أن يجازيه عليه ولذا وصف بالبقاء[1]

﴿ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ أي ما يليق بشأنه ـ عز وجل ـ لما له من التعظيم في قلوب من عرفه ـ عز وجل ـ ، وماله ـ سبحانه ـ من الكمال في نفسه باعتبار قصور الإدراك عن شأوه أو من عنده الجلال والإكرام للموحدين فهو راجع إلى الفعل أي يجل الموحدين ويكرمهم ، وفسر بعض المحققين ﴿ الْجَلَالِ ﴾ بالاستغناء المطلق ﴿وَالإِكْرَامِ﴾ بالفضل التام وهذا ظاهر .

وقيل : إن الجلال العظمة وصفات وجودية كالحياة ، والعلم وتسمى صفات الإكرام .

﴿ ذُو ﴾ صفة للوجه خبر مبتدأ محذوف هو ضمير راجع إلى الرب وهو في الأصل صفة له .

وقيل : إن هذا الوصف قد خص به ـ عز وجل ـ روى الترمذي وأبو داود والنسائى عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّى ثُمَّ دَعَا اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ يَا حَىُّ يَا قَيُّومُ. فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ أتدرون بما دعا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم فقال والذي نفسي بيده لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْعَظِم الَّذِى إِذَا دُعِىَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ

---

(١) روح المعاني ٢٧/١٠٩ بتصرف .

أعطى»[1].

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإن الفناء باب للبقاء والحياة الأبدية والإثابة بالنعمة السرمدية .

وقيل : المقصود بالآية ملزوم معناها لأنها كناية عن مجيء وقت الجزاء وهو من أجل النعم ولذلك خص الجلال والإكرام بالذكر لأنهما يدلان على الإثابة في معرض النعم والتخويف والتحذير في معرض العقاب ، وتحذيرهم من ارتكاب ما يترتب عليه العقاب[2] .

وقيل : بقاء الرب وإبقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلاً ، أو مما يترتب على فناء الكل من الإعادة والحياة الدائمة والنعيم المقيم[3] .

وقيل : ذات الواحد الأحد ذو العظمة والكبرياء والإنعام والإكرام[4] .

وقيل : الدعاء المأثور: " يا حي، يا قيوم، يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا أنت، برحمتك نستغيث ، أصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا إلى أحد من خلقك "[5].

**وبعد الاستعانة بالله ـ عز وجل ـ أذكر بعض اللطائف التى تفيد البحث بإذن الله تعالى ـ أقول وبالله ـ عز وجل التوفيق :**

**خلق الله ــ عز وجل ــ سبحانه العباد لحكمة ليعلم ــ سبحانه ــ**

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الوتر باب الدعاء ج١ص٥٥٤ دار الكتاب العربي ــ بيروت . بتعليق الشيخ الألباني .

(٢) روح المعاني ٢٧ / ١١٠ بتصرف .

(٣) تفسير البيضاوي ٢ / ٥٣١ .

(٤) صفوة التفاسير ٣/ ٢٧٨ .

(٥) تفسير ابن كثير ٤/٢٧٢ .

الطائع المحب المخلص فبين ــ سبحانه طريق الفناء بالبقاء بحرفين فقط ( ح . ب ) فبين سبحانه طريق الخير قائلاً « فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ »[1] وعطف البقاء على الفناء من عطف الجملة على الجملة للتوسط بين الكمالين والجامع الضدية لأن من الفناء البقاء لنعلم بأن الدنيا دار اختبار ومقدمة لدار أفضل وأحسن وأبقى ، وخص الوجه بالذكر لأن الوجه أول ما يقابل الإنسان كما أنه أشرف موضع به الجبهة التي تسجد للرحمن ــ عز وجل ــ به أغلب الحواس الخمس الظاهرة ، به تظهر الأفراح والأحزان والآلام ، به يتعرف الإنسان على كل ما حوله بلا لبس أو خلط لأمور لأن به العينين والأذنين والفم والأنف ، وبه أهم مكونات الإنسان الذي يختلف به عن الحيوان وهى الرأس الذي به العقل .

قال ﴿رَبُّ﴾ ولم يقل ﴿الله﴾وذلك لأن الإنسان يستعمل كلمة ﴿رَبُّ﴾ في معان عدَّه ما استعمل لغير الله فيه العلة ، وما استعمل لله ــ عز وجل ــ فيه القدَّرة والخطاب واضح ، وفيه التفات للإصغاء والانتباه .

وقيل : المراد باليوم المذكور هو يوم الدنيا ويوم الآخرة قال ابن بحر : الدهر كله يومان :

أحدهما : مدة أيام الدنيا .

والآخر : يوم القيامة .

وقيل : المراد كل يوم من أيام الدنيا ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[2] فإن اختلاف شؤونه سبحانه في تدبير عباده نعمة لا يمكن جحدها ولا يتيسر

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى سيدي رسول الله ﷺ ج١ص٣ وفي كتاب الإيمان باب ما جاء أن الأعمال بالنية الحسنة ولكل امرىء ما نوى ج١ ص٣٠ .

(٢) سورة الرحمن آية رقم : ٣٠ .

لمكذب تكذيبها [1] .

وفي الحديث " مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَغْفِرُ ذَنْبًا ، وَيُفَرِّجُ كَرْبًا ، وَيَرْفَعُ قَوْمًا ، وَيَضَعُ آخَرِينَ "[2] .

وهو رد لقول اليهود إن الله لا يقضى يوم السبت شيئاً ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أى مما يسعف به سواكما وما يخرج لكما من حكمته يلزم حيناً فحينا[3] ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ كل ساعة كل لحظة ، وذكر اليوم لأن الساعة واللحظات في ضمنه[4] آيات دعوتك اكشفها لى قال تعالى ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[5] وقد صح القلم قد جف بما هو كائن إلى يوم القيامة ، وقوله تعالى : ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾[6] فما بال الاختصاص ؟ فقال له الحسين : يجوز أن لا يكون الندم توبة في تلك الأمّة . ويكون توبة في هذه الأمّة ؛ لأنّ الله تعالى قد خص هذه الأمّة بخصائص لم يشاركهم فيها الأمم .

وقيل : إن ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ، ولكن على حمله ، فأما قوله : ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ أي ما سعى عدلاً ، ولي أن أجزيه بواحدة ألفاً فضلاً ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فإنها شؤون يبديها لا

---

(١) فتح القدير ٨١/٥ بتصرف .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب تفسير سورة الرحمن ج٤ ص١٨٤٦ ، وصحيح ابن حبان في كتاب الرقائق باب الفقر والزهد والقناعة ج٢ ص٤٦٤ .

(٣) تفسير البيضاوي ٥٣١/٢ .

(٤) البحر المحيط ١٩٣/٨ .

(٥) سورة المائدة من الآية : ٣١ .

(٦) سورة النجم آية : ٣٩ .

شؤون يبتدئها : فقام عبد الله وقبل رأسه وسوّغ خراجه[1] .

وقيل : سؤال استبطاء ، سؤال استعلام سؤال استخراج أمر ﴿ وَمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ من الملائكة .

وقيل : السؤال عائد إلى ﴿ من ﴾ .

وقيل : عائد إلى الله تعالى وعليه اتفاق المفسرين ، ويدل عليه ما روى عن النبي ﷺ أنه سئل عن ذلك فقال : " يغفر ذنباً ويفرج كرباً ، ويرفع من يشاء ويضع من يشاء" ويحتمل أن يقال : هو عائد إلى يوم و﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ وصف ليوم وهو نكرة ، يكون صفة مميزة للأيام التي فيها يكون صفة مميزة للأيام التي فيها شأن عن اليوم الذي قال تعالى فيه : ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[2] قال تعالى في ذلك اليوم يكون هو السائل وهو المجيب ، ولا يسأل في ذلك اليوم وهم أهل الأرض من الثقلين ، أمَّا سؤال الملائكة في جميع السماوات لمصلحة أهل الأرض ، وعطف الأرض على السماوات من عطف المفرد على الجمع بالواو والعطف فيه الوصل ليقوى المعنى ويحسنه وليعلم بأنه يوجد اتصال بين السماء العالية ، والأرض المنبجسة ، وليعلم التعديد ، وهو إيقاع الأعداد من الأسماء المفردة في النثر ، والنظم على سياق واحد ، فإن روى فيه ازدواج أو تجنيس أو مطابقة ، أو مقابلة فذلك في غاية الحسن[3] وأضاف ﴿ كُلَّ ﴾ إلى ﴿ يَوْمٍ ﴾ وهو ظرف زمان حتى لا يحدث لبس فيعتقد أنه في يوم دون آخر كما قال اليهود والعياذ بالله وليس كل يوم

---

(١) الكشاف ٤/٤٧ .

(٢) سورة غافر آية : ١٦ .

(٣) المعجم المفصل في علوم البلاغة ص٥٠ .

بل كل لحظه وخص اليوم لأن حساب التوقيت في الأرض اليوم الذي مدته أربع وعشرون ساعة ، ويحسب به عدد الشهور والسنوات .

قدم ضمير الشأن ﴿هُوَ﴾ ضمير الأمر والحال ، ويسمى في البلاغة ضمير الفصل قصر حقيقي تخصيص حيث قصر الأمر على الله عز وجل لا يتعداه إلى غيره من قصر صفة على موصوف من أبلغ أنواع القصر ولأن الأمر من الأعلى ــ عز وجل ــ إلى الأدنى أى- الأقل في الدرجة - لأن الخالق ليس كالمخلوق ولكن الله ــ عز وجل ــ قد خص خير الخلق أكملهم وأحسنهم وأكثرهم عبادة وطاعة وحباً لله ــ عز وجل ــ من ارتضاه بنصف الشهادة ونصف التحيات وأحب الناس أجمعين لله ــ عز وجل ــ رب العالمين فقال تعالى ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ ﴾[1] وذلك ليعلمه بما يريد وقتما يريد ، وورود لفظ ﴿ فِي ﴾ مرتين في قوله ﴿ مَن فِى السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ ﴾ وقوله ﴿هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ في الأول لبيان السائل ، فكانت بمعنى اسم الإشارة وتعليل للسؤال ، ففي الثاني على شأن ، وذلك لتوكيد وتقرير العقل ففى كل مرة تختلف عن الأخرى ، ولا يصح وضع غيرها مكانها ، وفي الآية الإيجاز الحسن البديع .

وبعد ما ذكر سبحانه من نعم جليلة من رحمة الله على عباده السائلين المخلصين المحبين المطيعين ، وحتى إنه قد جعل لغيرهم نصيباً فختم الآية بما يناسب أولها في المعنى وهذا من الإرصاد البديع ، وهو جعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عرف الروى وهذا من خير الكلام الذي يدل بعضه على بعض[2] قال تعالى ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ

---

(١) سورة الجن من الآية : ٢٧ .

(٢) المعجم المفصل ص٦٠ .

أَيُّهَا الثَّقَلَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[1] أى سنحاسبكم[2] بالنون وضم الراء وقرأ حمزة والكسائى بالتحتية مفتوحة هى لغة تميم وقرأ عيسى الثقفي بكسر النون مع فتح الراء وقرأ الأعمش وإبراهيم بضم الياء وفتح الراء على البناء للمفعول وسمي الجن والإنس ثقلين لعظم شأنهما بالنسبة إلى غيرهما من حيوانات الأرض وقيل سموا بذلك لأنهم ثقل على الأرض أحياءً وأمواتاً كما في قوله تعالى : ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾[3] لأنهما فريقان وكل فريق جمع ، قرأ الجمهور ﴿ أيها الثقلان ﴾ بفتح الهاء وقرأ أهل الشام بضمها ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ فإن من جملتها ما في هذا التهديد من النعم فمن ذلك أنه ينزجر به المسيء عن إساءته ويزداد به المحسن إحساناً فيكون ذلك سببا للفوز بنعيم الدار الآخرة الذي هو النعيم في الحقيقة[4] .

وفي هذا الأسلوب التفات من المتكلم إلى المخاطب بشدَّ الانتباه ويدعوا إلى الإصغاء وجذب النظر ، ففيه من البراعة في الألفاظ والمعاني ما لا يخفى وفيه من التأثير في المخاطب والمتلقى ما لم يكن لغيره من أساليب العربية ، كما أن في الأسلوب الإيجاز الحق البديع والترتيب والتنظيم والحسن ما لم يكن إلا للغة العربية فقط لغة القرآن الكريم ونجد في الأسلوب التشبيه الذي فيه التجسيد للمعاني وإبرازه في صورة المحسوس حيث شبه القصد إلى الشئ والتوجه له بالفراغ والخلوص من الشواغل بجامع الاهتمام في كل، واستعار اللفظ الدال على

---

(١) سورة الرحمن آية : ٣١ ، ٣٢ .

(٢) مجاز القرآن ٢/٢٤٤ .

(٣) سورة الزلزلة آية : ٢ .

(٤) فتح القدير ٥/١٨١.

المشبه به للمشبه ثم اشتق من الفراغ بمعنى الخلوص تفرع على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، والقرينة حالية من الاستعارة التمثيلية وهى أبلغ أنواع الاستعارة[1] .

وقيل : ﴿سَنَفْرُغُ﴾ بفراغ جنودنا من الملائكة وغيرهم مما أمرناهم به مما سبقت به كلمتنا ومضت به حكمتنا من الآجال والأرزاق وغير ذلك فينتهي كله ولا يكون لهم حينئذ عمل[2] .

وقيل: ﴿سَنَفْرُغُ﴾ بمعنى القصد إلى الشئ ، أو سأجعل قصدي له[3].

وقال أهل البيان:هو مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك ، والمراد : تجرد داعية للإيقاع به من النكاية فيه ، والمراد شئونه ستنتهي إلى شأن الجزاء ، وقصد المحاسبة ثم هدد الثقلين بأنهم لا يستطيعون الهرب من أحكامه ، وأقضيته فيهما نفذ من الشئ إذ خلص منه كالسهم ، وينفذ من الرمّية[4] .

وفي الأسلوب التفات في قوله عز وجل ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ من خطاب الجماعة إلى التكلم[5] .قال سيدنا رسول الله ﷺ « إني تاركٌ فيكم ثَقَلَيْن كتابَ الله وعِتْرتي »[6] وقد وضحت من قبل بأن الثقل الأكبر كما ذكر سيدنا رسول الله ﷺ القرآن الكريم طرف بيد الله وطرف بيد العبد ، والعترة الطرف الأصغر وهم القدوة الحسنة قال تعالى : ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ

---

(١) الدر المصون ٢٤٢/٦ .

(٢) المرجع السابق ٣٨٧/٧ .

(٣) معاني القرآن ٩٩/٥ .

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن ٨٩/١١ هامش .

(٥) نظم الدرر ٣٨٧/٧ بتصرف .

(٦) سبق تخريجه .

أَثْقَالَهَا ﴾[1] فهي أخرجت ما فيها من الموتى والعرب تجعل السيد الشجاع ثقلاً على الأرض[2] وقال سيدى جعفر الصادق سميا بذلك لأنهما مثقلان بالذنوب[3] .

وقيل : الفراغ والشغل لا يجوز إن إلا على الأجسام[4] والله لا يشغله شأن عن شأن وهنا كناية فيمن يصيح عليه ، ومجاز في غيره ، والنداء للتهديد بما يكون يوم القيامة .

وقيل : ﴿سَنَفْرُغُ﴾ بياء الغيبة وقرأ ﴿سَنَفْرُغُ﴾ بنون العظمة . وقرأ { سأفرغ } بهمزة المتكلم وحده [5] وفي قوله﴿أَيُّهَا﴾ الحكمة في نداء المبهم والإتيان بالوصف بعده هو صون كلام المنادى عن الضياع ، فيخصص المقصود والتزم فيه أمران :

أحدهما : الوصف بالمعرف باللام أو باسم الإشارة فتقول : (يا أيها الرجل) أو يا نداء للعلم ، لأن بين المبهم الواقع على كل جنس والعلم المميز عن كل شخص تباعداً .

وثانيهما : توسط ها التنبيه بينه وبين الوصف لأن الأصل في أي الإضافة لما أنه في غاية الإبهام فيحتاج إلى التمييز ، وأصل التمييز على ما بينا الإضافة ، فوسط بينهما لتعويضه عن الإضافة ، والتزم حذف لام التعريف عند زوال أي ... يوجب إسقاط اللام عند الإضافة المعنوية حتى لا يكون تطويلاً لكونه جمع بين المعرفين ، فإن التراب وإن لطف في الخلق لم يخرج عن كونه ثقيلاً ، وأما النار فلما ولد فيها خلق الجن

---

(١) سورة الزلزلة آية : ٢ .

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه ٤٠٧/٩ .

(٣) حديث رقم ٢٤٠٨ أخرجه مسلم في صحيحه ، وينظر نظم الدرر ٣٨٧/٧ بتصرف .

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن ٨٠/١١ ( متن )

(٥) روح المعاني ١١٢/٢٧ بتصرف .

كثفت يسيراً ، فكما أن التراب لطف يسيراً فكذلك النار صارت ثقيلة .

وقيل : أحدهما : ثقيل لا غير ، وسمي الآخر به للمجاورة والاصطحاب كما يقال : العمران والقمران وأحدهما عمر وقمر ، والمراد العموم في النوعين الحاضرين .

وقيل : الثقل الأمر العظيم[1] .

وقيل : ﴿سَنَفْرُغُ﴾ من أعلام الأجناس بالغلبة ، ثم استعمله أهل الإسلام ، قال ذو الرمة :

ومَيَّةُ أحسن الثقلين وَجهاً
وسَالِفَةً وأحسنُهُ قَذالاً[2]

**وبعد الاستعانة بالله ـ عز وجل ـ أورد بعض اللطائف التي تفيد البحث إن شاء الله عزوجل :**

ـوضح سبحانه نعمه الوفيرة المنهمرة ، وبين لنا أن نسأله سبحانه ـ من خيري الدارين بالدعاء الذي نص عليه القرآن الكريم فلا حجة للثقلين في عدم الالتجاء إلى الله أو الدعاء ، لأن الإيمان كماله ما أمر به الله ـ عز وجل ـ قال تعالى ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ السين حرف يختص بالمضارع ويخلصه للاستقبال، ويتنزل منه منزلة الجزء،وذكر البصريون أن مدة الاستقبال معه أضيق منها مع سوف حرف تنفيس؛ ومعناها حرف توسع لأنها تقلب المضارع من الزمن الضيق وهو الحال، إلى الزمن الواسع وهو الاستقبال ، وذكر بعضهم أنها تأتى للاستمرار، لا للاستقبال لقوله تعالى : ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ﴾[3] قال تعالى ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ ﴾

---

(١) الفخر الرازي ٢٩ / ١١٣ بتصرف .

(٢) التحرير والتنوير ٢٧ / ٢٥٧ .

(٣) سورة النساء من الآية : ٩١ .

فالله ــ عز وجل ــ لا يشغله شأن عن شأن فلا تشغله دنيا ولا كل ما فيها ، ولا آخرة ولا كل ما فيها ولأن الشغل من اختصاص المخلوق لا الخالق ، وذلك محال على الله ــ عز وجل ــ قال تعالى : ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾[1] وقال تعالى:﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ ﴾[2] فالسين تفيد استمرار الكلام الذي أوضحه سبحانه بقوله : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ فالعظيم الحي القيوم خالق الكون على غير مثال سابق ، مدبر الأمور يعلم ﴿السِّرَّ وَأَخْفَى اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾[3] فمن جعل الدنيا ديناً بالترتيب الصحيح للحروف [د.ن.ى.أ ][أ.ى.ن] ينهج نهج السعداء .. فنكون السين إعلاماً لاستمرار السين للاستقبال ويكون ذلك في كل وقت وحين ، كما أن السين تفيد الوعد في محصول الفعل ، ومدخولها على ما يفيد الوعد والوعيد مقتضى توكيده وتثبيت معناه قال تعالى:﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[4] ومعنى السين كما ذكر صاحب الإتقان في علوم القرآن ﴿أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[5] السين تفيد وجود الرحمة لا محالة[6] وذلك لقوله تعالى:﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[7] من كل من لم يتعد حدود الله . وقال تعالى :﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ

---

(١) سورة آل عمران من الآية : ١٥٢ .

(٢) سورة آل عمران من الآية : ١٤٨ .

(٣) سورة طه الآية : ٧ ، ٨ .

(٤) سورة البقرة من الآية : ١٣٧ .

(٥) سورة التوبة من الآية : ٧١ .

(٦) الإتقان في علوم القرآن ٤٩٨/٢ .

(٧) سورة الأعراف من الآية : ١٥٦ .

شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً ﴾[1]؛ والتهديد والوعيد المذكور في الآية وفي كل القرآن الكريم من رحمة الله بعباده حتى يعودوا إلى الله ــ عز وجل ــ وذلك أدعى للعمل الصالح فيثمر الوعيد خيراً لعباد الله ، أما الوعيد لغير المؤمنين من قبيل العقاب والجزاء، وجئ بقوله:﴿لَكُمْ﴾والخطاب من المتكلم للخطاب التفات لإصغاء السامع وتطرية لنشاطه،وقدم﴿لَكُمْ﴾ والضمير راجع إلى الثقلين تنبيهاً على أهمية المقدم وهو اختصاص الإنس والجن دون غيرهما من المخلوقات وأتى بـ (أى) التى تفيد الوصل لأن الرحمة مع المطيعين تستوجب الوصل .

لأنه حاضر في الذهن ، قريب إلى القلب ، فتستعمل في القريب وفي هذا رحمة بعباد الله ، ويستعمل النداء بحسب الأسلوب وسياق الكلام والضمير بعد أي راجع إلى الثقلين زيادة في التأكيد وذلك للأهمية

ــ وفي الأسلوب حسن الترتيب مع الإرصاد الجميل من بداية السورة وحتى نهايتها ، فقد رتب - سبحانه - ما تقدم من نعم جليلة عظيمة لا تكون إلا من خالق الخلق مالك الملك، فالنسق بديع والموسيقى والجرس لها نمط خاص على السمع ، والاتساق والائتلاف في الآيات لها تمكن وقرار تؤدى معنى شريفاً للفظ شريف ، ألفاظ لها شذاها وقال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[2] أى إن استطعتم أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض هاربين من الله فارين

---

(١) سورة غافر من الآية : ٧ .

(٢) سورة الرحمن آية : ٣٣ .

من قضائه فاخرجوا لا تقدرون على النفوذ إلا بقوة وقهر وأنى لكم ذلك أو إن قدرتم أن تنفذوا لتعلموا ما في السماوات والأرض لكن ﴿لَا تَنفُذُونَ﴾[1].

وقيل : لقدرة الجن على الخفاء والتشكل في الصور بما ظن أنهم لا يعجزهم شئ[2] .

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾من التنبيه والتحذير والعفو مع كمال القدرة، أو مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها إلى ما فوق السماوات والأرض فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون إلا ببينة نصبها الله تعالى فتعرجون عليها بأفكاركم[3] .

ثم فتنقذون بها إلى ما فوق السماوات العلا[4].

ذكر السماوات بصيغة الجمع ، والأرض بلفظ المفرد إشارة إلى أن السماوات عوالم وأكوان بعضها فوق بعض ؛ أو محيط بعضها ببعض ، وأن الأرض عالم واحد له قطر واحد[5] قال تعالى ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ﴾[6] إما أن يكون جارياً مجرى المثل المستعمل للمبالغة في إحاطة الجهات كقول سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ " أيُّ ارض تقلني ،

---

(١) تفسير البيضاوي ٥٣١/٢ .

(٢) نظم الدرر ٣٨٨/٧ بتصرف .

(٣) تفسير البيضاوي٥٣١/٢ .

(٤) المرجع السابق ٥٣١/٢ .

(٥) التفسير القرآني للقرآن ٦٨٢/١٣ .

(٦) سورة إبراهيم من الآية : ٤٨ .

وأيُّ سماء تُظلني"[1] .

وقوله ﴿ فَانفُذُوا ﴾ أمر تعجيز[2] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ لبنعمة السمع عن اليمين أو بغيرها من إثابة وعقوبة ، وسمى ابن برجان هذا الإخبار الذي لا نون جمع فيه خطاب القبض يخبر فيه عن موجوداته وما هو خالقه ، وذلك إخبار منه عن محض الوحدانية،وما قبله﴿سَنَفْرُغُ﴾ ونحوه وما فيه نون الجمع إخبار عن وصف ملكوته وجنوده وهو خطاب البسط[3] .

وقيل : ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ يا معشر الثقلين بما أنعم الله من التسوية[4] [ من أقطار السماوات ] جوانبها مجازها ، مجاز القوت والأقطار ، والأقتار واحد[5] وقدم الجن لكون خلق أبيهم متقدماً على خلق آدم ولوجود جنسهم قبل جنس الإنس[6] .

قيل : من نكر الموت خاف الفوت .

وقيل : لزيادة التقرير ولأن الجن مشهورون بالقدرة على الأفاعيل الشاقة فخوطبوا بما ينبيء عن ذلك لبيان أن قدرتهم لا تفي بما كلفوه وكأنه لما ذكر سبحانه أنه مجاز للعباد لا محالة عقب عز و جل ذلك

---

(١) التحرير والتنوير ٢٥٩/٧ . والأثر ذكره الإمام البغوي في شرح السنة كتاب العلم باب تبليغ حديث الرسول ﷺ وحفظه ج ١ص٢٤٤. ط : المكتب الإسلامي - دمشق ـ بيروت ـ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م . الطبعة : الثانية تحقيق : شعيب الأرناؤوط.

(٢) الدر المصون ٢٤٣/٦ .

(٣) الفخر الرازي ٢٩ / ١١٤ .

(٤) نظم الدرر ٧ / ٢٨٧ .

(٥) مجاز القرآن ٢٤٤/٢ .

(٦) فتح القدير ١٨١/٥ .

ببيان أنهم لا يقدرون على الخلاص من جزائه إذا أراد[1].

﴿ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾ أي حيثما كنتم شاهدتم حجة الله وسلطاناً تدل على أنه واحد[2].

والحكمة في تقديم الجن لأن النفوذ من أقطار السماوات والأرض بالجن أليق إن أمكن[3].

﴿ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾ :

١ــ أن يكون بياناً .

٢ــ أن يكون على تقدير وقوع الأمر الأول ، وبيان أن ذلك لا ينفعكم ، وتقديره وما تنفذون إن نفذتم ما تنفذون إلا ومعكم نفوذهم إشارة إلى طلب خلاصهم أي لا تتخلصون من العذاب ولا تجدون ما تطلبون من النفوذ وهو الخلاص من العذاب إلا بسلطان من الله يجيركم وإلا فلا مجير لكم ، كما تقول : لا ينفعك البكاء إلا إذا صدقت وتريد به أن الصدق وحده ينفعك .

٣ــ إشارة إلى تقرير التوحيد[4] .

وفي قوله : ﴿ فَانفُذُوا ﴾ الأمر للوعيد[5] .

**وبعد الاستعانة بالله ـ عز وجل ـ أذكر بعض اللطائف التى تفيد البحث إن شاء الله العلى القدير.**

ــ خاطب الله ــ عز وجل ــ الثقلين بأسلوب الخطاب المشتمل على

---

(١) تفسير البيضاوي ٢/٥٣١ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٥/٩٩ .

(٣) الفخر الرازي ٢٩ / ١١٤ .

(٤) الفخر الرازي ٢٩ / ١١٤ .

(٥) المعجم المفصل ص٢٣٠ .

الترغيب والترهيب وذلك للرجوع إلى الله ــ عز وجل ــ وحسن التوكل عليه ولأن الله ــ عز وجل ــ الواحد الأحد ، وليعلم الأنس والجن الالتجاء إلى الله ــ عز وجل ــ في كل الأمور وذلك لخيري الدارين وأن من يخالف أمر الله ــ عز وجل ﴿فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً﴾[1] .

- وأن الله ــ عز وجل ــ ﴿هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[2] فتنوعت الأساليب في السورة الكريمة فمنها الإنشائي في قوله الله ــ عز وجل ــ ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ للنداء وذلك لطلب الإقبال بحرف النداء ﴿يَا﴾ واستعمل التى للبعيد وقد يكون البعد بعد عن الطاعة لذا خوطبا بالأسلوب الذي فيه التعجيز وقد يكون البعد من أحدهما والقرب من الآخر ولكن اجتمعا في الخطاب وذلك لجذب نظر السامع والمتلقي بأن قول الله حق وفي كلمة ﴿مَعْشَرَ﴾ قدم الجن على الإنس والجن قبائل يحدث منهم المراوغة أكثر وذلك لتلونهم بأفاعيلهم لذا قال سبحانه ﴿ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ ﴾ فعبر عن فعل الشئ بالاستطاعة موضحاً سبحانه بأن أمر الثقلين في كل شئ بإرادة الواحد الأحد الذي له ملك السماوات والأرض الفرد الصمد ، كما أن في الآية الإيجاز البديع ، وفي الأسلوب الجرس الحسن الجميل على السمع ، وفي الخطاب التشريف للثقلين لأن الذي ينادى الحي القيوم فنداؤه تشريف لمن يذكر من الثقلين لأنهما في التكليف سواء ، كما أن في إيمان الجن صعوبة عن الأنس كما أن المرسلين من الأنس لا الجن فإيمان الأنس أسرع والتأثير أكثر ، والقرآن بالإنس أليق ولأن خاتم الأنبياء والمرسلين إمام الأنبياء والمرسلين إمام الأئمة إمام المتقين من

---

(١) سورة آل عمران من الآية : ١٤٤ .

(٢) سورة الحج من الآية : ٦٤ .

الإنس ولهذا يكون الشرف بالإنس أولى ، ولأن عالم الجن يرون الإنس من حيث لا يراهم الإنس قال تعالى :﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾[1] ولقوله تعالى ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾[2] .

فلو آمن الجن يكون الإنس أولى بذلك وأحق ، كما أن الموعظة تؤثر في الإنس أكثر ؛ ولقول سيدنا رسول الله ﷺ " كَانَ لِي قَرِينٌ فأعانني الله عليه فأسلم " [3] .

وقدم الجن للتخصيص وذلك لاستطاعتهم فعل خوارق الأمور وجئ بـــ﴿إن﴾في معرض الكلام عن الجن والإنس للتأكيد والتحقيق بأنهم لم ، ولن يستطيعوا ولو فعلوا الأفاعيل أن ينفذوا من أقطار السماوات والأرض وجئ بـــ﴿إن﴾ لعلمه سبحانه يعجزهم أمام قدرة الواحد الأحد ، ثم قال ﴿أقطار﴾ ولم يقل قطر لخوف اللبس لئلا يظن قطر دون قطر ، وإنما المراد جميع المنافذ تكن مسدودة وقت الفرار ، ولكن الأجدر بالجن والإنس أن يفروا إلى الله ــ عز وجل ــ قال تعالى ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾[4]

---

(١) سورة الكهف من الآية : ٥٠ .

(٢) سورة النمل من آية : ٣٩ .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينا ج٨ ص١٣٩ بألفاظ متقاربة : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ ». قَالُوا وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « وَإِيَّاىَ إِلاَّ أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِى عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلاَ يَأْمُرُنِى إِلاَّ بِخَيْرٍ ».

(٤) سورة الذاريات من الآية : ٥٠ .

وأتى بلفظ ﴿مَنْ﴾ لابتداء الغاية مكاناً وزماناً بالتكليف ، وذلك لعموم اللفظ وشموله لجميع خلق الله ، ممن يعقل على أن الكلام أن لله ما في السماوات وما في الأرض من جميع المخلوقات فاستعمل في الكلام الإيجاز الحسن البديع من إيجاز القصر بذكر الألفاظ القليلة والمعاني الكثيرة وفي هذه الآية الدعاء يفيد في كل الأمور مع التوكل على الله واللجوء إليه سبحانه في السراء والضراء والتوسل بمن يحب ــ عز وجل ﷻ أحب الخلق إلى الله ــ عز وجل ــ قال تعالى : ﴿فَانفُذُوا﴾الأمر هنا خرج من معناه الحقيقى إلى معنى آخر مجازى يعرف من السياق وقرائن الأحوال، وهنا الأمر من الأعلى إلى الأدنى من الخالق العظيم إلى الخلق للتعجيز من باب ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾[1] .

وجئ بالفاء للترتيب، وجئ بالقصر الذي يفيد النهى والاستثناء (إن،ما،لا،لن) وفي قوله:﴿لَا تَنفُذُونَ﴾ قصر النفاذ بأمر الله وحده لا شريك له من قصر الصفة على الموصوف من أبلغ أنواع القصر من التنبيه العالي ؛ وأتى بقوله ﴿ بِسُلْطَانٍ ﴾ ومعنى الباء للإلصاق[2] فالسلطان أى القدرة لله وحده لا شريك له ، له الأمر وإليه يرجع الأمر كله علانيته وسره ، والباء من معانيها الاستعلاء ، والسلطان لا يكون إلا بالله ــ عز وجل ــ ومن الله ــ عز وجل ــ العالي فكان مناسباً حرف الباء للإلصاق أي لن تستطيعوا إلا بسلطان ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ فجاء بالاستطاعة من الطواعية أى طوع يديه ؛ وجاءت هنا بمعنى الطاعة التى مفادها الطاقة ، لذا جاءت من باب التحدي الذي يثبت العجز

---

(١) سورة النور من الآية : ٣٣ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن ١٨٢/٢ .

أمام قدرة الحي القيوم الرحمن الرحيم لأن للكون رب عظيم أعظم من كل عظيم يعلم دبيب النمل في جنح الليل البهيم ، يعلم السر وأخفى ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾[1] .

( لا طاقة لمخلوق مع قدرة الخالق ) وعبر بقوله :﴿ لَا تَنفُذُونَ ﴾ولم يقل {تهربون} لأن النفاذ يكون بالأمر للتعجيز لاستحالة ذلك عليهم لأن للكون رب قادر على حماية المطيعين، ولأن الهروب تصحبه غفلة والغفلة لا تكون إلا من الإنس والجن والكون يسير على حساب دقيق ، وفي الأسلوب الكتابة عن القوة والغلبة والحب من الله ــ عز وجل ــ للعباد فجاء التنبيه للرجوع إلى الحي القيوم .

وتوجد كناية أخرى ، كناية عن الضعف والوهن من الإنس والجن فالله ــ عز وجل ــ كلامه قديم واحد أحد في الصفات والأسماء والأفعال والأقوال ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[2] قال تعالى:﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾[3] ﴿ يُرْسَلُ ﴾ بالتحتية مبنياً للمفعول ، قال مجاهد الشواظ اللهب الأخضر المتقطع من النار وقال الضحاك:هو الدخان الذي يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب ، وقال الأخفش وأبو عمرو : هو النار والدخان، قرأ الجمهور﴿وَنُحَاسٌ﴾ بالرفع عطفاً على شواظ ، وقرأ بخفضه عطفاً على نار بقراءة ابن كثير وابن محيصن ومجاهد وأبو عمرو، وقرأ الجمهور ﴿ نُحَاسٌ ﴾ بضم النون وقرأ مجاهد وعكرمة

---

(١) سورة الشعراء آية : ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٢) سورة يس من الآيتين : ٨٢ ، ٨٣ .

(٣) سورة الرحمن آية :٣٤، ٣٥ .

وحميد وأبو العالية بكسرها وقرأ مسلم بن جندب والحسن ( ونحس ) والنحاس الصفر المذاب يصب على رؤوسهم قاله مجاهد وقتادة وغيرهما، وقال سعيد بن جبير : هو الدخان الذي لا لهب له وبه قال الخليل وقال الضحاك : هو دردي الزيت المغلي وقال الكسائي : هو النار التي لها ريح شديدة ، وقيل هو المهل ﴿ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ أي لا تقدران على الامتناع من عذاب الله ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ فإن من جملتها هذا الوعيد الذي يكون به البعد عن الشر والرغوب في الخير[1] .

وفي قوله ﴿يُرْسَلُ﴾ استئناف بياني عن جملة ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا﴾ لأن ذلك الإشعار بالتهديد يثير في نفوسهم تساؤلاً عمّا وَراءه والضمير راجع للثقلين[2] عام مراد به الخصوص بالقرينة وهى قوله بعده ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾[3] .

وقيل : لما سلب عنهم القدرة على النفوذ المذكور تنبيهاً على سلب جميع القدرة عنهم وعلى أن ما يقدرون عليه إنما هو بتقديره لهم نعمة منه عليهم ، ولما كان من بلغ الغاية في قسوة القلب وجمود الفكر فهو يحيل العجز عن بعض الأمور إلى أنه لم يجر بذلك عادة[4] .

وقيل : استئناف في جواب سؤال مقدر عن الداعي للفرار أو عما يصيبهم أي يصب عليكما[5] .

وفي قوله : ﴿ يُرْسَلُ ﴾ ظاهر الآيات بلاء وانتقام وليس بنعم

---

(١) فتح القدير ٥/ ١٨٢ بتصرف .

(٢) التحرير والتنوير ٢٧ / ٢٦٠ .

(٣) سورة الرحمن آية : ٤٦ .

(٤) نظم الدرر ٣٨٩/٧ .

(٥) روح المعاني ٢٧ / ١١٢ .

والجواب : المتأمل يدرك أن في الإنذار والوعيد ، وبيان مآل الضالين عصمة للإنسان من الوقوع فيما وقعوا فيه ، فيكون مصيره مصيرهم ومن هذا الاعتبار يتبين أن هذه المواضع مندرجة تحت النعم لأن النعمة نوعان:إيصال الخير،ودفع الشر؛ والسورة اشتملت على كلا النوعين[1] .

وقيل : ﴿ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ تمتنعان من السوق[2] أو فلا ينصر بعضكم بعضاً ، ولا يخلصه من عذاب الله .

يقول ابن كثير :معنى الآية لو ذهبتم هاربين يوم القيامة لردتكم الملائكة وزبانية جهنم بإرسال اللهب من النار والنحاس المذاب عليكم لترجعوا فلا تجدون لكم ناصراً[3] .وقيل :

إن لهـــم مـــن وقعنـــا أقياظـــا
ونـــار حـــرب تـــسعر الـــشواظا [4]
يـــضيء كـــضوء ســـراج الـــسليـ
ـط لـــم يجعـــل الله فيـــه نحاســـا [5]

وقيل :التمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار في عداد الآلاء[6] .

﴿مِّن نَّارٍ﴾ متعلق ﴿يُرْسَلُ﴾ أو بمضمر هو صفة من الشواظ ﴿مِّن﴾

---

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ٢/٣٣٠ ، ٣٣١ .
(٢) الدر المنثور ٥/٣١٨ .
(٣) صفوة التفاسير ١٣/٢٨٠ .
(٤) جامع البيان في تفسير القرآن ١١/٨٢ .
(٥) المرجع السابق ١١/٨٢ .
(٦) تفسير البيضاوي ٢/ ٥٣٢ .

ابتدائية أى كائن من نار والتنوين للتفخيم وثنى الضمير في قوله: ﴿عَلَيْكُمَا﴾ مع أنه جمع بقوله:﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ والخطاب مع الطائعين وقال:﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ وقال من قبل ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ إن استطعتم لبيان عجزهم و﴿عَلَيْكُمَا﴾ الخطاب مع المعشر مع الحاضرين .

وقيل : الصغر المذاب على رؤسهم دخان النار ، القتل ، أنه نحس لأعمالهم[1] .

وقيل : هما نوعان فالتثنية أولى ، وعلى قراءة من قرأ بالجر كيف يعربه ولو زعم أنه عطف على النار يكون شواظ من نحاس والشواظ لا يكون من نحاس ؟ وأجيب عليه .

١ــ تقديره شيء من نحاس كقولهم : تقلدت سيفاً ورمحاً .

٢ــالشواظ لم يكن إلا عندما يكون في النار أجزاء هوائية وأرضية، وهو الدخان ، فالشواظ مركب من نار ومن نحاس وهو الدخان ، وعلى هذا فالمرسل شيء واحد لا شيئان غير أنه مركب لا فائدة لتخصيص الشواظ بالإرسال إلا بيان كون تلك النار بعدُ غير قوية قوة تذهب عنه الدخان .

وقيل : العذاب بالنار التي لا ترى دون العذاب بالنار التي ترى ، لتقدم الخوف على الوقوع فيه وامتداد العذاب والنار الصرفة لا ترى أو ترى كالنور ، فلا يكون لها لهب وهيبة ، وقوله تعالى : ﴿وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ نفي لجميع أنواع الانتصار، فلا ينتصر أحدهما بالآخر،ولا هما بغيرهما، وإن كان الكفار يقولون في الدنيا: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾

---

(١) النكت والعيون ٥/٤٣٥ .

والانتصار التلبس بالنصرة[1].

فالآية رحمة للرحماء وعذاب للقاسية قلوبهم ، قال تعالى : ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[2] أى انصدعت يوم القيامة الدهان ، الدهن ، أي صارت في صفاء الدهن أى فكانت حمراء أى تصير في حمرة الورد ، وجريان الدهن ، أى تذوب مع الانشقاق حتى تصير حمراء من حرارة جهنم ، وتصير مثل الدهن لرقتها وذوبانها .

وقيل : الدهان ؛ الجلد الأحمر الصرف ، أى تصير السماء حمراء كالأديم لشدَّة حر النار .

وقيل : كانت كالفرس الورد يقال : للكميت ورد ،وإذا كان يتلون بألوان مختلفة ؛ فشبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل ، وقال الحسن ﴿كَالدِّهَانِ﴾ أى كصب الدهن فإنك إذا صببته ترى فيه ألواناً ، وقال زيد بن أسلم : المعنى أنها تصير كعكر الزيت .

وقيل : المعنى أنها تمر وتجئ ؛ وقال الزجاج : أصل الواو والراء والدال للمجئ والإتيان ؛ وهذا قريب من أن الفرس الوردة تتغير ألوانها وقال قتادة : إنها اليوم خضراء وسيكون لها لون أحمر حكاه الثعلبى ، وقال الماوردى وزعم المتقدمون أن أصل لون السماء الحمرة ، وأنها لكثرة الحوائل وبعد المسافة ترى بها اللون الأزرق وشبهوا ذلك بعروق البدن وهى حمراء كحمرة الدم ، وترى بالحائل زرقاء فإن كان هذا صحيحاً فإن السماء لقربها من النواظر يوم القيامة وارتفاع الحواجز ترى حمراء لأنه أصل لونها والله أعلم .

جواب ﴿إذا﴾ محذوف مقصود به الإبهام كأنه يقول:﴿فَإِذَا انشَقَّتِ

---

(١) الفخر الرازي ٢٩ / ١١٥ ، ١١٦ بتصرف .

(٢) سورة الرحمن آية : ٣٧ ، ٣٨ .

السَّمَاء﴾ فما أعظم الهول ؛ وانشقاق السماء انفطارها عند القيامة .

وقيل : ﴿ وَرْدَةً﴾ أى محمرة كالوردة وهى النوار المعروف .

وقيل : هى لون الفرس الورد ، وأنث الكون ، السماء مؤنثة وأنشد منذر بن سعيد :

يَـــبِغْنَ الـــدِّهانَ الحُمْـــرَ كـــلَّ عَـــشِيَّةٍ

بموسِـــــمِ بَـــــدْرٍ أو بـــــسُوْقِ عُكـــــاظِ

وقد ذكر محيى الدين الدرويش في كتابه إعراب القرآن الكريم وبيانه [ فقال الملحدون ما وجه الشبه في﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ وتكرير ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ بعد ذكر العذاب مثل ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ ﴾] وإنما حق ذلك أن يذكر بعد تعديد النعم[1] .

من قول صاحب كتاب إعراب القرآن الكريم وبيانه في قوله : ( قال الملحدون ) الفاء في الأصل للتعقيب على وجوه ثلاثة في قوله ــ عز وجل ﴿ فَكَانَتْ ﴾ .

١ــ التعقيب الزماني للشيئين اللذين لا يتعلق أحدهما بالآخر عقلاً كقوله قعد زيد فقام عمرو .

٢ــ التعقيب الذهني للذين يتعلق أحدهما بالآخر كقولك : جاء زيد فقام عمرو .

٣ــ التعقيب في القول كقولك : لا أخاف الأمير فالملك فالسلطان[2] .

﴿إذا﴾ قد تستعمل لمجرد الظرف،وقد تستعمل للشرط،وقد تستعمل

---

(١) إعراب القرآن الكريم ٤١١/٩ .

(٢) الفخر الرازي ٢٩ / ١١٦ بتصرف .

للمفاجأة واستعمالها في :

١ــ الظرفية المجردة على أن الفاء للتعقيب الزماني ، فإن قوله : ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَآءُ﴾ بيان لوقت العذاب .

٢ــ الشرطية وذلك على الوجه الثالث وهو قولنا : ﴿فَلا تَتَصِرَانِ﴾ عند إرسال الشواظ فكيف تنتصران إذا انشقت السماء ، الحمل على المفاجأة على أن يقال : يرسل عليكما شواظ فإذا السماء قد انشقت ، فيفيد ، ولا يحمل ذلك إلا على الوجه الثاني من أن الفاء للتعقيب الذهني، وللإجابة على ذلك قول الفخر الرازي الشرطية وحينئذ له وجهان: أحدهما : أن يكون الجزاء محذوفاً رأساً ليفرض السامع بعده كل هائل ، كما يقول القائل : إذا غضب السلطان على فلان لا يدري أحد ماذا يفعله ، ثم ربما يسكت عند قوله إذا غضب السلطان متعجباً آتياً بقرينة دالة على تهويل الأمر ، ليذهب السامع مع كل مذهب .

٣ــ عدم الانتصار لقوله تعالى:﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَآءُ بِالْغَمَامِ﴾[1] فيكون الأمر عسيراً ويحتمل أن يقال: فإذا انشقت السماء يلقى المرء فعله ويحاسب حسابه .. إلى أن قال :﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾[2] .

وقيل : وردة للمرة من الورود كالركعة والسجدة والجلسة والقعدة من الركوع والسجود والجلوس والقعود[3] .

وجمع الدهان لعظمة السماء وكثرة ما يحصل من ذوبانها لاختلاف

---

(١) سورة الفرقان من الآية : ٢٥ .

(٢) سورة الانشقاق آية : ٦ ، وينظر : تفسير الفخر الرازي ٢٩ /١١٧ ، ١١٨ بتصرف .

(٣) تفسير الفخر الرازي ٢٩ / ١١٨ بتصرف .

أجزائها فإن الكواكب تخالف غيرها[1] .

قال تعالى ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ السؤال إذا عدى بعن لا يكون إلا بمعنى الاستعلام أو التوبيخ وإذا كان بمعنى الاستعطاف يعدى بنفسه إلى مفعولين يقال : نسألك العفو والعافية .

٢ــ الكلام لا يحتمل تقديراً .

في قوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ استئناف بياني عن قوله : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾[2] .

أى ولا جن فوضع الجان الذي هو أبو الجن موضع الجن كما يقال : هاشم ويراد ولده[3] .

﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ التنوين عوض من الجملة أى قيوم إذا انشقت السماء[4] ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾[5] هذه مبتدأ وجهنم خبر والتي صفة مهملة يكذب بها المجرمون صلة لا محل لها بها ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ الجملة حال من المجرمين أو مستأنفة، ويطوفون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل ، والظرف متعلق بـــ(يطوفون) ، وبين عطف على الظرف الأول وآن نعت لحميم وهو منقوص ، فالكسرة مقدرة على الباء المحذوفة لا لتقاء الساكنين[6] قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[7]

---

(١) المرجع السابق ٢٩ / ١١٨ بتصرف .

(٢) التحرير والتنوير ٢٧ / ٢٦٢ .

(٣) التفسير القرآني الجليل ٣١٢/٤ هامش .

(٤) الدر المصون ٢٤٥/٦ .

(٥) سورة الرحمن آية : ٤٣ .

(٦) إعراب القرآن ٤١١/٦ .

(٧) سورة الرحمن آية : ٤٦ .

١ــ ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ وهي الجنان ثم إن تلك الآلاء لا ترى ، وهذا ظاهر لأن الجنان غير مرئية ، وإنما جعل الإيمان بها بالغيب[١] فلا يحسن الاستفهام بمعنى الإنكار مثل ما يحسن الاستفهام عن هيئة السماء والأرض والنجم والشجر والشمس والقمر وغيرها مما يدرك ويشاهد ، لكن النار والجنة ذكرتا للترهيب والترغيب[٢].

والخائف مقام قيل :

ــ من خاف مقام ربه بعد آداء الفرائض .

ــ يهم بذنب فيذكر مقام ربه فيدعه .

ــ أن ذلك نزل في أبي بكر ﷺ خاصة حين ذكر ذات يوم الجنة حين أزلفت ، والنار حين برزت قال الضحاك : بل شرب ذات يوم لبناً على ظمأ فأعجبه ، فسأل عنه فأُخبِر أنه من غير حل ، فاستقاءه وسيدنا رسول الله ﷺ ينظر إليه ، فقال : ( رَحِمَكَ اللَّهُ لَقَدْ أُنزِلَتْ فِيكَ آيَةٌ )[٣] وفي قوله ــ عز وجل ــ ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ الفاء استئناء ، وإذا انشقت السماء ظرف لما يستقبل من الزمن وفعل ، وفاعل والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿كانت﴾ عطف على انشقت واسم كانت مستتر يعود على السماء ﴿وَرْدَةً﴾ خبرها ﴿ كَالدِّهَانِ﴾ نعت لوردة أو خبر ثان لــ ﴿كانت﴾ أو حال اسم كانت ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ الفاء رابطة لجواب إذا ، وقيل : جواب إذا محذوف أى فإذا انشقت السماء رأيت أمراً عظيماً ، والفاء عاطفة عليه ، ويومئذ

---

(١) الفخر الرازي ٢٩ / ١٢٢ ، ١٢٣ بتصرف .

(٢) المرجع السابق ٢٩ / ١٢٢ ، ١٢٣ بتصرف .

(٣) النكت والعيون ٤٣٧/٥ .

ظرف متعلق بيسأل ، وإذا ظرف مضاف إلى مثله والتنوين فيه عوض عن جملة أى فيوم ﴿إِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء﴾ و ﴿ لَّا ﴾ نافية ، ويسأل فعل مضارع مبنى للمجهول ﴿بِالنَّوَاصِي ﴾ نائب فاعل ؛ ويؤخذ متعد ، بالباء[1] لأنه ضمن معنى يُسحب ، ويتعدى بـ (على) ضمير معنى يدفع أى يدفعون ؛ والمعنى تأخذ الملائكة بنواصيهم أى بشعورهم من مقدم رؤسهم وأقدامهم فيقذفونهم في النار والآية من التشبيه التمثيلى من أحسن وأجمل أنواع التشبيه لأنه يجسم المعنى في صورة محسوسة ، فشبه تلون السماء حال انشقاقها بالوردة وشبهت الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن ، واختلاف ألوانه فالتشبيه مركب من قسمين ؛ قسم فيه انشقاق السماء وآخر الوردة ثم صورة الدهان ووجه الشبه أحوال تلونها تلوناً تدريجياً بدءً باللون الناصع إلى اللون الداكن يشبه أيضاً لون الدهن، وقد عملت فيه النار ، فاشتعل بلون أصفر ، ثم بدت ألسنته محمرة إذ آذن بالانطفاء ثم يتحول إلى رماد داكن[2].

وهذا من التشبيه البليغ المحذوف الوجه والأداة أى كالوردة في الحمرة[3] .

وهذا على تشبيه الوردة بالدهان فيكون تشبيه ذكر فيه المشبه والمشبه به ، وعلى الوجه الذي شبه فيه السماء كوردة تشبيه محذوف الوجه والأداة من أبلغ أنواع التشبيه أيضاً ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ سؤال توبيخ وتقريع[4] .

---

(١) الدر المصون ٦/٢٤٥ .

(٢) إعراب القرآن وبيانه ٩/٤١١ بتصرف .

(٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ٢٧ / ٢١٧ .

(٤) فتح القدير ٥/١٨٣ .

وفي قوله : ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ﴾ من وضع الظاهر موضع الضمير للإشارة إلى أن المراد بعض من الإنس وبعض من الجن وهم المجرمون ﴿بِالنَّوَاصِي﴾ الباء للآلة ﴿بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ للرمز إلى عظمته وقرئ ولا جأن فراراً من التقاء الساكنين[1] .

وقيل : ونعمة الله فيما ذكره نجاة الناجي من هول العذاب برحمته وفضله ، وما في الإنذار من اللطف ... الخ[2].

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ في الآية الترهيب الشديد ، والوعيد البالغ الذي ترجف له القلوب وتضطرب لهوله الأحشاء[3] .

## وبعد الاستعانة بالله ـ عز وجل أذكر بعض اللطائف التي تفيد البحث إن شاء الله تعالى :

وضح ـ سبحانه عز وجل ـ بأن أبوابه لا تغلق ، وبأن خزائنه لا تنفذ ، وأنه سبحانه المأوى والملجأ في كل وقت وحين لا يعجزه شئ في الأرض ولا في السماء ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾[4] حين تذكر أهوال القيامة وتذكر الجنة نرى المعقول في صورة المحسوس ؛ فنجد الحركة الدائبة ، والانتفاضة المعلنة المتأنية واللحظة الحاسمة ، من له قلب يتوب وينيب ويعود للرحمن الرحيم .. فالأهوال فيها اختبار فمن يرد الله به خير يثبته بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة ، ففي الآية الاتساق العجيب ، وحسن الترتيب ، وبراعة التنميق فنرى مشهداً حافلاً بالمشاعر

---

(١) روح المعانى ٢٧ / ١١٥ .

(٢) الكشاف ٤٨/٤ .

(٣) فتح القدير ١٨٣/٥ .

(٤) سورة الأنبياء من الآية : ١٠٣ .

والأحاسيس مع حركة تنبئ عن خوف من الله وخشية في السر والعلن، ثم أتى بالفاء في قوله : ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء﴾ أى بلا مهلة تصير كورده ـ ففي الآية التصور العجيب ؛ ومن له قلب سليم يعلم بأن الله الواحد الأحد أراد الخير منذ الأزل للجميع ولكن الإنسان هو الذي يختار لقوله ـ عز وجل ـ ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[1] .

والكلام المذكور بيان لقوله ـ عز وجل ـ ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً ﴾[2] فمراد الله من كونه يعلمه سبحانه ومن ارتضى من رسول سيدنا رسول الله ﷺ ، ولفظ ﴿إذا﴾ تدل على الفجأة التي لم تكن في الحسبان أى حضور الشئ معك في وصف من أوصافك[3] .

وعبر بقوله ﴿ انشَقَّتِ ﴾ ولم يقل انفرجت ، لأن الشق نصف الشئ وفي الآية التهويل المراد به التعظيم فتقول مثلما قال سيدنا موسى عليه السلام في معجزة سيدنا رسول الله ﷺ القرآن الكريم ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

وأتى بلفظ وردة ليشمل اللون والرائحة الزكية ، وعبر بالدهان مع غليان السماء وتوهجها وذلك لسرعة الذوبان والسلى قال تعالى ﴿ فَأَمَّا

---

(١) سورة الروم من الآية : ٣٠ .

(٢) سورة الجن من الآيات : ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ .

(٣) الاتقان في علوم القرآن ١٤٨/٢ .

(٤) سورة الأعراف من الآية : ١٤٣ .

الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ ﴾[1]

وفي هذا الأسلوب البديع الرائع تسجيل عليهم وفيه الوصف الدقيق، العظة والعبرة ، وفي الأسلوب كناية عن عظم ذلك اليوم ؛ وفي الآية التساوق ، والتناسق ، الجرس وعبر بقوله ﴿ يُسْأَلُ ﴾ المضارع وذلك لأن القرآن الكريم تشريع دقيق تكفل الله بحفظه من الضياع والاندثار وأتى بلفظ ﴿ عَن ﴾ التى تفيد المجاوزة فلا يسأل عن ذنبه من تجاوز ما أمر الله به وذلك لمن ينطبق عليهم شروط التكليف .

وقيل : وكيف يستعلم المخلوق وهو أدرى بما فعل[2] .

وقد يكون السؤال عين الدعاء لقوله ــ عز وجل ــ ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الْأَوْفَى وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾[3].

وفي قوله ﴿إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ استعمل مع ﴿لَّا﴾ الواو فحذف قوله : ولا يسأل عن ذنبه جان لدلالة أول على ثان ، من إيجاز الحذف من الإيجاز الحسن البديع ، ذكر قوله : ﴿ إِنسٌ ﴾ دون إنـاس أو إنسان ، لأنها هنا بالفتح ضد الوحشة مصدر فاستعملت الكلمة بمعناها كما وردت في المعجم ﴿فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

بعد ما ذكر سبحانه من جليل النعم ، وعظيم الكرم على عباده ليعلم المطيع لأن الله ــ عز وجل ــ يجب أن يرى آثار نعمته على عباده

---

(١) سورة الرعد من الآية : ١٧ .

(٢) الفخر الرازي ٢٩ / ١١٩ .

(٣) سورة النجم من الآيات : ٣٩ : ٤٢ .

المطيعين قال تعالى : ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾[1]

إن الله سبحانه لا يسأل إنس لعلمه بما كان ، وما يكون منذ الأزل قبل خلق الإنسان وهذا من تمام القدرة الإلهية ، وقمة العظمة، والعبرة ، فالإنس والجان لا يعرفان شيئاً عن عمرهما، وعن رزقها وعن اسمهما ، وعن كونهما أشقياء أم سعداء ، ذكر ﴿يُعْرَفُ﴾ ولم يقل يعلم لأن المعرفة هى الأخذ من كل فن ، أو كل علم وهى أوسع مجالاً ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ أفرد المعرفة ، وجمع المجرمون، لأن المعرفة تكون لله الواحد الأحد الصمد ، ودليل ذلك قصة سيدنا موسى عليه السلام مع سيدنا الخضر عليه السلام والمعرفة تشمل كل شئ قال تعالى ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾[2] قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ﴾[3] .

وذكر ﴿الْمُجْرِمُونَ ﴾ ولم يقل (المُسيئُونَ) لأن الجُرْمُ والجَريمةُ الذنب (التذنوب) كالمعقول البسُر الذي بداية الإرطاب من قبل ذنبه ،وقد أذنبت البسُرة بفتح الذال تذنيباً ... وهى أيضاً الدلو الملأى ماء ، وقال ابن السكيت التى فيها ماء قريب من الملء تؤنث وتذكر ولا يقال لها وهى فارغة ذنوب ( جَرَمَ ، أجْرَمَ ، اجْتَرَم ، الجِرْمُ بالكسر الجسد جَرَم كسب وبابهما ضرب وقوله تعالى﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾ أي لا يحملنكم ويقال : لا يكسبنكم وتَجَرَّم عليه أي ادعى عليه ذنباً لم يفعله[4].

وجئ بالفاء أى يأخذون بلا مهلة،وفي الأخذ معنى النزع ﴿بِالنَّوَاصِي

---

(١) سورة الرحمن آية : ٤١ .

(٢) سورة النمل من الآية : ٩٣ .

(٣) سورة الأعراف من الآية : ٤٦ .

(٤) مختار الصحاح مادة ( جرم ) .

وَٱلْأَقْدَامِ ﴾ الباء من معانيها الإلصاق واستعمل الباء مع النواصي لأن النواصي مقدمة على الأقدام للترتيب الطبيعى للبدن ، ولأن ناصية الشئ مقدمته فيكون العذاب أشد ، وعطف الأقدام على النواصي لشدَّة الأخذ الأليم بلا مهلة ، وبين النواصي والأقدام طباق أفاد في تقوية المعنى بين اسمين ، وفي الكلام مجاز مرسل العلاقة الكلية ذكر الجزء وأراد الكل حيث ذكر النواصي والأقدام وأراد الجسد كله،وفي قوله ﴿ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ طباق بديع وضح المعنى في أبدع لفظ ، فالضد يظهر حسنه الضد ، وفي الآية الترتيب البديع وفي السورة كلها ترتيب النتائج على المقدمات مكاناً وزماناً قال تعالى ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾[1] قال تعالى : ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴾[2] قال تعالى : ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[3] قال تعالى : ﴿حَمِيمٍ﴾ إشارة إلى ما فعل فيه من الإغلاء،وقوله تعالى:﴿ءَانٍ﴾ إشارة إلى ما قبله ، وهو كما يقال : قطعته فانقطع فكأنه حمته النار فصار في غلية، وآن الماء إذا انتهى في الحر نهاية﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ هذه الأمور ليست من الآلاء فكيف قال : ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

يقول الفخر الرازي الجواب من وجهين :

أحدهما : ما ذكرناه .

وثانيهما : أن المراد : ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا﴾ مما أشرنا إليه في أول

---

(١) سورة آل عمران من الآية : ١٥٢ .

(٢) سورة الرحمن آية : ٤٤ .

(٣) سورة الكهف من الآية : ٢٩ .

السورة. ﴿تُكَذِّبَانِ﴾ فتستحقان هذه الأشياء المذكورة من العذاب قال تعالى : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ هي الجنان وتلك الآلاء لا ترى ، وهذا ظاهر وأن الجنان غير مرئية ، وإنما حصل الإيمان بهذه النعم التي ذكرها الله ــ عز وجل ــ في بداية السورة بالغيب ، فلا يحسن الاستفهام بمعنى الإنكار مثل ما يحسن الاستفهام عن هيئة السماء والأرض والنجم والشجر والشمس والقمر وغيرها مما يدرك ويشاهد ، لكن النار والجنة للترهيب والترغيب[1] .

والترغيب في الطاعات ، قيل : فوقف الشاب وخنقته العبرة وجعل يقول : ويحي من يوم تنشق فيه السماء ويحي! فقال سيدنا رسول الله ﷺ : "ويحك يا فتى مثلها فوالذي نفسي بيده لقد بكت ملائكة السماء لبكائك"[2] .

وذلك أنه تعالى وعد من يخاف ورغبة ، وقد علمنا أن الخوف لا يجوز أن يكون من مكانه ، ومقامه حتى يكون ذلك مرغباً في الطاعة ، وصارفاً عن المعصية ، فيجب أن يحمل الكلام على أن المراد به أن من خاف مقامه ووقوفه للمسائلة ، والمحاسبة بفعل الطاعة فله الثواب ، ولأن للموضع المعدَّ من قبله لوقوف العبد ، ومقامه فأضيف إليه تعالى لذلك[3]

قيل : من أراد معصيته فذكر ما عليه فيها فتركها خوفاً من الله ــ عز وجل ــ رهبة عقابه ورجاء ثوابه فله جنتان فوصفهما[4] . أي الجنتان .

---

(١) الفخر الرازي ٢٩ / ١٢٢ ، ١٢٣ بتصرف .

(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٧٦/١٧ ، وينظر : في ظلال القرآن ٣٤٥٧/٦ .

(٣) متشابه القرآن ٦٣٨/٢ ، ٦٣٩ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٠٢/٥ .

ويجوز أن يكون " مَقَام " مصدراً ، وأن يكون مكاناً .

فإن كان مصدراً ، فيحتمل أن يكون مضافاً لفاعله ، أي : قيام ربه عليه ، وحفظه لأعماله من قوله تعالى قال مجاهد وإبراهيم النَّخعي : هو الرجل يهمّ بالمعصية ، فيذكر الله فيدعها من خوفه[1] .

وأن يكون مضافاً لمفعوله ، والمعنى : القيام بحقوق الله ـ عز وجل ـ فلا يضيعها وإن كان مكاناً ، فالإضافة بأدنى ملابسة لما كان النَّاس يقومون بين يدي الله للحساب في عرصات القيامة[2] .

قيل : فيه مقام الله ، والمعنى : خاف مقامه بين يدي ربه للحساب ، فنزلت المعصية ، ف " مقام " : مصدر بمعنى القيام[3] .

قال القرطبي : هذه الآية دليل على أن من قال لزوجته : إن لم أكُن من أهل الجنة فأنت طالق ، أنه لا يحنث وكان هم بالمعصية وتركها خوفاً من الله وحياء منه . وقاله سفيان الثوري وأفتى به[4] .

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ اللام لام الملك[5] .

فالآية تبين ما أعده الله سبحانه للمؤمنين الأبرار من الجنان ؛ والولدان ، والحور الحسان ليتميز الفارق الهائل بين منازل المجرمين ومراتب المتقين على طريقة القرآن في الترغيب والترهيب[6] .

وقيل : لمن أطاع الله سراً وعلانية ، خوفاً من عقابه ، ورجاء ثوابه حديقتان من حدائق الجنة ، واحدة لخوفه ، والثانية لرجائه[7] .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ٣٤١/١٨ .

(٢) المرجع السابق ومن نفس الصفحة .

(٣) المرجع السابق ومن نفس الصفحة .

(٤) المرجع السابق ومن نفس الصفحة .

(٥) التحرير والتنوير ٢٧ / ٢٦٤ .

(٦) صفوة التفاسير ٢٨١/٣ .

(٧) التفسير المبين ٧/١ .

عن أبى هريرة رضي الله عنه وأرضاه ــ قال : قال : سيدي رسول الله ﷺ " مَنْ خَافَ أدْلَجَ ، وَمَنْ أدْلَجَ بَلَغَ المَنزِلَ ، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غالية ، الا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الجنَّةُ» " [1]

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ يوم يقوم الناس لرب العالمين[2] .

وقيل : هو إشرافه على أحواله وإطلاعه على أفعاله ، وأقواله كما في قوله تعالى ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾[3] قال مجاهد والنَّخعي : هو الرجل يهمّ بالمعصية ، فيذكر الله فيدعها من خوفه[4]

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ أضيف إلى الرب تفخيماً وتهويلاً للمبالغة :

ذكرت به القطا ونفيت عنه

مقام الذئب كالرجل اللعين[5].

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ مقامه عند ربه على أن المقام مصدر أو اسم مكان وهو للخائف نفسه ، وإضافته للرب لأنه عنده تعالى .

فهي مثلها في قولهم : شاة رقود الحلب وهي بمعنى عند الكوفيين

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/٢٧٨ ، ٢٧٩ .والحديث أخرجه الترمذي ــ سنن الترمذي ج٤ ص ٦٣٣. قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر . وقال عنه الألباني : صحيح .

(٢) المطففين آية : ٦٠ .

(٣) سورة الرعد من الآية : ٣٣ .

(٤) فتح القدير ٥/١٠١٥ .

(٥) تفسير البيضاوي ٢/ ٥٣٣ .

أي رقود عند الحلب وبمعنى اللام عند الجمهور كما صرح بـه شـراح التسهيل وليست لأدنى ملابسة كما زعم أيضا ، ثم إن المراد بالضدية هنا مما لا يخفى ، وجوز أن يكون مفخماً على سبيل الكناية ، فالمراد ولمن خاف ربه لكن بطريق برهاني بليغ ، والظاهر أن المراد ولكل فرد مـن الخائفين[1] : ﴿جَنَّتَانِ﴾ فقيل : أحدهما منزله ومحل زيارة أحبابـه لـه والأخرى منزل أزواجه وخدمه .

وقيل : بستانان بستان داخل قصره وبستان خارجه وقيل : منـزلان ينتقل من أحدهما إلى الآخر لتتوفر دواعي لذته وتظهر ثمار كرامته وأين هذا ممن يطوف بين النار وبين حميم آن.

وجوز أن يقال : جنة بعقيدته وجنة لعمله أو جنة لفعـل الطاعـات وجنة لترك المعاصي أو جنة يثاب بها وأخرى يتفـضل بهـا عليـه أو أحدهما روحانية والأخرى جسمانية ، ولا يخفى أن الصفات الآتية ظاهرة في الجسمانية. وقال مقاتل : جنة عدن وجنة نعيم .

وقيل : لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الإنسي وجنة للخائف الجني فإن الخطاب للفريقين .

فقد أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن الحسن : انه كان شاب على عهد عمر رضي الله تعالى عنه ملازم للمسجد والعبادة فعشقته جارية فأتته في خلوة فكلمته فحدثته نفسه بذلك فشهق شهقة فغشي عليه فجاء عم له فحمله إلى بيته فلما أفاق قال : يا عم انطلق إلى عمر فاقرئه مني السلام وقل له ما جزاء من خاف مقام ربه فانطلق فأخبره عمر وقد شهق الفتى شهقة اخرى فمات فوقف عليه عمر رضي الله تعالى عنه فقال : لك جنتان لك

---

(١) روح المعاني ٢٧ / ١١٦ بتصرف .

جنتان [1].

والخوف في الأصل توقع مكروه عند أمارة مظنونة أو معلومة ويضاده الأمن ، والخوف من الله - تعالى - لا يراده ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الخوف من الأسد ؛ بل إنما يراد به الكف عن المعاصي وتحري الطاعات ولذلك قيل : لا يعد خائفاً من لم يكن للذنوب تاركاً ويؤيد ذلك تفسير ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الخائف هنا كما أخرج ابن جرير عنه بمن ركب طاعة الله تعالى وترك معصيته.

وقول مجاهد : هو الرجل يريد الذنب فيذكر الله تعالى فيدع الذنب وكما ذكر في نوادر الأصول ، وابن أبي شيبة وجماعة عن أبي الدرداء ﷺ ان النبي ﷺ قرأ هذه الآية ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ فَقُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ فَقُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثَّالِثَةَ ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ فَقُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ نَعَمْ وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي الدَّرْدَاءِ [2] .

قال تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ نجا من هذا البلاء ، بإيمانه بالله وتجنبه ما يغضبه ، واستقامته على سبيله المستقيم ، وكان له

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان باب في الخوف من الله تعالى ج١ص٤٦٨ ط: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٠ تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٧٨/٤ . والحديث أخرجه ابن أبي شيبة في مسنده ج١ ص٤٩ ، ط : دار الوطن - الرياض - ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي ، وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرسول ج١/ص٢٧٧، دار الجيل - بيروت - ١٩٩٢م، تحقيق: عبد الرحمن عميرة.

الجزاء الحسن عند ربه فأوسع له من فضله وإحسانه فأدخله الجنة يتبوأ منها حيث يشاء فهى جنة فسيحة لا حدود لها عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين[1] . وقال : جنتان كناية عن التعدد ومنه قوله : لبيك وسعديك ودواليك[2] .

وقيل : الجنتان جنة في طيب ثمارها ؛ ووفرة النعيم فيها ، ويجوز أن تكون جنة للإنس وجنة للجن ، والمقام أصله محل القيام ومصدر مسمي للقيام وعلى الوجهن يستعمل مجازاً في الحالة والتلبس كقولك لمن تستجيره هذا مقام العائذ بك ، ويطلق على الشأن والعظمة فإضافته مقام إلى ربه وإن كانت على اعتبار المقام للخائف فهو بمعنى الحال وإضافته إلى ربه تشبه إضافة المصدر إلى المفعول أى مقامه من رب أى بين يديه ، وإن كانت على اعتبار المقام كله لله تعالى : فهو بمعنى الشأن والعظمة وإضافته كالإضافة إلى الفاعل ويحتمل الوجهين[3] .

والآية نزلت في أبى بكر ﷺ ، وأخرج ابن أبى حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن عطاء أن أبا بكر الصديق ﷺ ذكر ذات يوم وفكر في القيامة والموازين والجنة والنار وصفوف الملائكة وطي السماوات ونسف الجبال وتكوير الشمس وانتثار الكواكب فقال : وددت أني كنت خضرا من هذا الخضر فتاتي عليَّ بهيمة فتاكلني وأني لم أخلق فنزلت ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾[4].

وقيل : الجنتان الأظهر أنهما ضمن الجنة الكبيرة المعروفة ولكن اختصاصهما بالذكر قد يكون لمرتبتهما ، وسيأتى في سورة الواقعة أن

---

(١) التفسير القرآني للقرآن ٣/٣٩٠ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٧ / ٢٦٥ .

(٣) التفسير القرآن للقرآن ٣/٦٩٠ بتصرف .

(٤) روح المعاني ٢٧ / ١١٦ ، ١١٧ بتصرف .

أصحاب الجنة فريقان كبيران هما السابقون المقربون، وأصحاب اليمين ، ولكل منهما نعيم ، فهنا كذلك نلمح أن هاتين الجنتين هما لفريق ذى مرتبة عالية ، وقد يكون فريق السابقين المقربين المذكورين في سورة الواقعة ثم نرى جنتين أخريين من دون هاتين ، ونلمح أنهما لفريق يلى ذلك الفريق ، وقد يكون هو فريق أصحاب اليمين[1] .

وقيل : يجوز أن يكون المقام للعبد ثم يضاف إلى الله وهو كالأصل في قوله :﴿ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ ﴾[2] وقوله : ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاء لَا يُؤَخَّرُ ﴾[3]

وقيل : جنتان على حدة ، فلكل خائف جنتان.

وقيل : جنتان لجميع الخائفين ، والأول أظهر.

روي عن ابن عباس. رضي الله عنهما. عن سيدنا رسول الله ﷺ انه قال : "الجنتان بستانان في عرض الجنة كل بستان مسيرة مائة عام في وسط كل بستان دار من نور وليس منها شيء إلا ان يهتز نعمة وخضرة ، قرارها ثابت وشجرها ثابت" ذكره المهدوي والثعلبي أيضا من حديث أبي هريرة ﷺ .

وقيل : إن الجنتين الجنة التي خلقت له والجنة التي ورثها.

وقيل : إحدى الجنتين منزله ، والأخرى منزل أزواجه كما يفعله رؤساء الدنيا.

وقيل : إن إحدى الجنتين مسكنه والأخرى بستانه.

وقيل : إن إحدى الجنتين أسافل القصور والأخرى أعاليها.

وقال مقاتل : هما جنة عدن وجنة النعيم. وقال الفراء : إنما هي جنة واحدة ، فثنى لرؤوس الآي. أنكر القتبي هذا وقال : لا يجوز أن

---

(١) في ظلال القرآن ٦/٣٤٥٧ .

(٢) سورة الأعراف من الآية : ٣٤ .

(٣) سورة نوح من الآية : ٤ .

يقال خزنة النار عشرون إنما قال تسعة عشر لمراعاة رؤوس الآي[1] .

وقيل : الجنتان جنة روحية لقلبه ، وجنة جسمانية على شاكلة ما عمل في الدنيا ، وقيل : إنهما منزلان ينتقل بينهما لتتوافر دواعي لذته وتظهر آثار كرامته[2]

وفسر ذلك بقوله : جنة روحية تصل إلى حظيرة القدس ، وجمال الملكوت ورضا الله عنه ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[3] ؛ وجنة جسمانية بمقدار ما عمل في الدنيا من خير وقدم من صالح عمل ؛ فبأي نعم ربكما أيها الثقلان تكذبان فإثابته المحسن منكم بما وصف ، وعقابه العاصي بما عاقب من النعم العظمى والمنن الكبرى[4] .

وقيل جنة من ذهب للسابقين وجنة من فضة للتابعين[5] .

التعريف في قوله : ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ﴾ والتنكير في الثواب بالجنة إشارة إلى كثرة المراتب التى لا تحد ونعمه التى لا تعد وأن الخوف من خشية الله سببها ذل الخاشي ، والخشية خوف سببه عظمة المخشى ، قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾[6] لأنهم عرفوا عظمة الله فخافوه لا ذل {إلا لله }ولعظمة جانب الله .

وقيل : ﴿ مقام ربه ﴾ المقام الذي يقوم فيه بين يدي ربه ، وهو مقام العبادة أي المقام الذي يعبد الله العبد فيه .

والثاني: مقام ربه الموضع الذي فيه الله قائم على عباده من قوله

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٧٧ .

(٢) تفسير المراغى ٣٠٩١/٩ .

(٣) سورة التوبة من الآية : ٧٢ .

(٤) تفسير المراغى ٣٩٢/٩ .

(٥) البحر المحيط ١٩٦/٨ .

(٦) سورة فاطر من الآية : ٣٨ .

تعالى : ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾[1] أي حافظ ومطلع أخذاً من القائم على الشيء .

قيل : الخائف خاف مقام ربه بين يدي الله فالخاشي لو قيل له : افعل ما تريد فإنك لا تحاسب ولا تسئل عما تفعل لما كان يمكنه أن يأتي بغير التعظيم ، والخائف ربما كان يقدم على ملاذ نفسه لو رفع عنه القلم وكيف لا ، ويقال : خاصة الله من خشية الله في شغلٍ شاغل عن الأكل والشرب ، واقفون بين يدي الله سابحون في مطالعة جماله غائصون في بحار جلاله ، وعلى الوجه الثاني قرب الخائف من الخاشي[2] .

وبينهما فرق ﴿جَنَّتَانِ﴾ وهذه اللطيفة نتبينها بعد ما نذكر ما قيل في التثنية ، قال بعضهم : المراد جنة واحدة كما قيل في قوله : ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ وتمسك بقول القائل :

ومهمهين سرت مرتين

قطعته بالسهم لا السهمين

فقال : أراد مهمهاً واحداً بدليل توحيد الضمير في قطعته وهو باطل، لأن قوله بالسهم يدل على أن المراد مهمهان ، وذلك لأنه لو كان مهمهاً واحداً لما كانوا في قطعته يقصدون جدلاً ، بل يقصدون التعجب وهو إرادته قطع مهمهين بأهبة واحدة وسهم واحد وهو من العزم القوي ، وأما الضمير فهو عائد إلى مفهوم تقديره قطعت كليهما وهو لفظ مقصور معناه التثنية ولفظه للواحد ، يقال : كلاهما معلوم ومجهول ، قال تعالى :

---

(١) سورة الرعد من الآية : ٣٣ .

(٢) الكشاف ٤/٤٩ .

﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا﴾[1] فوحد اللفظ ولا حاجة ههنا إلى التعسف ، ولا مانع من أن يعطي الله جنتين وجناناً عديدة[2] .

---

(١) سورة الكهف من الآية : ٣٣ .

(٢) الفخر الرازي ٢٩ / ١٢٣ / ١٢٤ بتصرف .

وبعد الاستعانة بالله ـ عز وجل ـ أذكر بعض اللطائف التي تفيد البحث إن شاء الله .

أتى بالواو في ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾ التي تدل على استئناف[1] كلام جديد وليس عطفاً على ما تقدم ؛ لأن ما تقدم من كلام مغاير لما أتى بعده ، فدل على المغايرة ؛ ﴿خَافَ﴾ من (خوف) ( يخاف) ( خوفا ) ( وخيفة ) ( ومخافة ) فهو خائف (وقوم خوف) على الأصل وخيف على اللفظ (مقام) الأمر ملاكه الذي يقوم به وقد يفتح[2] .

وعلى هذا يكون معنى الآية أن الملك لله الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية ، فيستحق البستانين من خاف من صاحب ومدبر كل شئ سبحانه المتصرف الوحيد في ملكه المعبود بحب وبخشية وبخوف قال تعالى : ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾[3] قال تعالى : ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً ﴾[4] .

وخص المقام بالذكر لأن من خاف الله فعل الطاعات وكذا من خشيه قال تعالى : ﴿ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ ﴾[5] وذلك بالبعد عن الذنوب وفعل الخيرات وهذا مراد الله ــ عز وجل ــ من خلقه ــ وقال ﴿رَبُّ﴾ ولم يقل {الله} وذلك لأن كلمة ﴿ رَبُّ ﴾ تستعمل في رب البلدة ورب الدار أو العمل أو غير ذلك ولكن رب الأرباب عظيم الجناب يختلف عن ذلك كله

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢/٢٥٧ .

(٢) سورة غافر آية : ١٦ .

(٣) سورة طه من الآية : ١١٤ .

(٤) سورة الإسراء آية : ١١١ .

(٥) سورة يس من آية : ١١ .

فالخالق سبحانه ليس كالمخلوق قال تعالى ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1] ﴿رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾[2] ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[3] ﴿رَبٍّ رَّحِيمٍ﴾[4] ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[5] وكلمة ﴿ رَبِّ ﴾ تستعمل على سبيل الحقيقة مع الله عز وجل وعلى سبيل المجاز مع غير الله ـ عز وجل ـ ، وذكر ﴿ رَبِّ ﴾ للتشريف ومراعاة رؤوس الآي قال تعالى ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[6] ﴿ أَفْنَانٍ ﴾ جمع فن أى ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين من كل فن ، والأفنان الألوان ، والأفنان الأغصان واحدها فنن[7] أى ذواتا أغصان نضرة حسنة ، تحمل من كل ثمرة نضجة ، فائقة ؛ أى ذواتا أنواع من الأشجار والثمار ﴿فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ فبأي نعم الله تكفرون يا معشر الجن والإنس ، فإن هذا المجال والنعمة يحرص عليه العقلاء[8].

﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ صفة للجنتين وما بينهما اعتراض .

وقيل : الأفنان الأغصان واحدها فنن وهو الغصن المستقيم طولا .

وقيل : هو الضرب من كل شيء .

وقيل : كل غصن فنون من الفاكهة ومن إطلاق الفنن على الغصون

---

(١) سورة الفاتحة من الآية : ٢ .

(٢) سورة الأنعام من الآية : ١٦٤ .

(٣) سورة التوبة من الآية : ١٢٩ .

(٤) سورة يس من الآية : ٥٨ .

(٥) سورة طه من الآية : ١١٤ .

(٦) سورة الرحمن آية : ٤٨ ، ٤٩ .

(٧) معاني القرآن ١٠٢/٥ .

(٨) فتح القدير ١٨٦/٥ .

قول النابغة:

دعـــــاء حمامـــــة تـــــدعو هـــــديلا

مفجعـــــة علـــــى فـــــنن تغنـــــي

وقول الآخر :

مـــا هـــاجَ شَـــوقَكَ مـــن هَـــديل حَمَامَـــةٍ

تَـــدْعُو علـــى فَـــنَن الغُـــصُون حَمَامـــا

تَـــدْعُو أبـــا فَـــرْحَين صـــادف طاويـــاً

ذا مخلبـــين مـــن الـــصقور قَطامـــا

وقيل : أفنان ذواتا فضل وسعة[1] .

وقيل : الأغصان على الحيطان ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فـإن كـل منها ليس بمحل للتكذيب ولا بموضع للإنكار[2] .

نزلت هذه الآية في سيدنا أبى بكر الصديق ﷺ حين ذكر ذات يـوم الجنّة حين أزلفت ، والنّار حين برزت[3] .

﴿ذَوَاتَا﴾ صفة لـ ﴿جَنَّتَان﴾، أو خبر مبتدأ محذوف ، أي : " هما ذواتا " . وفي تثنية " ذات " لغتان:الرد إلى الأصل، فإن أصلها" ذوية " ، فالعين واو ، واللام ياء ؛ لأنها مؤنثة " ذو" .

الثانية : لَهَا زِمَامٌ مِنْ أَفْنَانِ الشَّجَرْ، وشجرة فناء : أي ذات أفنان ، وفنواء أيضاً على غير قياس[4] .

وخص أفنان بالذكر لأنها تورق وتثمر وتمد الظل ( فـنن ) وهـى

---

(١) من تفسير القرآن ٤/٢١٣١ ، هامش ، وفتح القدير ٥/١٨٦ .

(٢) فتح القدير ٥/١٨٦ .

(٣) اللباب في علوم الكتاب ١٨ / ٣٤٢ ، الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٧٨ .

(٤) المرجع السابق ١٨ / ٣٤٣ .

الغصنة التى تتشعب من فرع الشجرة .

قيل : أحدهما التسنيم ، والأخرى السلسبيل ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ أى جنتان كتفصيل بعد إجمال والصنفان رطب ، ويابس ، أو معروفاً وغريباً[1] .

ومن قوله أفنان كناية عن الخضرة والنضرة .

قيل : وهى أخضر وأبلغ[2] .

قيل : بل كل واحد منهما جمع معرف بحرف التعريف والأفعال في فعل كثير والفعول في فعل أكثر .

ثانيهما : التنكير للأفنان للتكثير أو للتعجب[3] .

و﴿ الأَفْنَانِ ﴾الفَنُّ واحد الفُنُونِ وهي الأنواع و الأَفَانِينُ الأساليب وهي أجناس الكلام وطرقه ورجل مُتَفَنِّنٌ أي ذو فنون و افْتَنَّ الرجل في حديثه وفي خطبته بوزن اشتق جاء بالأفانين و الفَنَنُ الغصن وجمع الأَفْنَانُ ثم الأَفَانِين[4] .

## وبعد الاستعانه بالله ـ عزوجل ـ أذكر بعض اللطائف التى تفيد البحث إن شاء الله تعالى .

لما تحدث سبحانه عن نعيم الدنيا تلا ذكره بشكر النعم ، فالشكر يصحبه العمل ، والجزاء من جنس العمل ، ثم تحدث عن نوع آخر من النعم وهو النعيم الذي لا يحول ولا يزول ؛ نعيم لا يتلوه تعب ولا نصب كما دعا بذلك سيدنا رسول الله ﷺ ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ٥/٩٣ هامش .

(٢) روح المعاني ٢٧ / ١١٧ .

(٣) الفخر الرازي ٢٩ / ١٢٥ .

(٤) مختار الصحاح مادة ( فن ) .

خطر على قلب بشر ، فالدنيا امتداد لحياة أجمل وأحسن وأبقى وذلك بقوله ــ عز وجل ــ ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ الغصون المورقة والظل الممدود بطيب الهواء واعتداله[1] .

فالأفنان في الدنيا لقوله ﷺ « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَه »[2]

روى عن أبي الدرداء ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغِي فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ اجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضاً بِمَا يَصْنَعُ ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ ، وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[3].

قال ﷺ "خذوا دينكم عن هذه الحميراء "[4] .

أم المؤمنين أمي السيدة عائشة ــ رضي الله عنها وأرضاها ــ فأفنان الدنيا بمعرفة القرآن والبيان ، وذلك لقوله عز وجلَّ ﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ولأن ذلك ضروري في توحيد الله

---

(١) التفسير القرآن للقرآن ١٣/٦٩١ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ج٤ ص ١٩١٩ .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ج٥ص٤٨ ط : دار إحياء التراث العربي – بيروت تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون. قال الشيخ الألباني : صحيح .

(٤) قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث ابن الحاجب من إملائه لا أعرف له إسناداً ، ولا رأيته في شئ من كتب الحديث إلا في النهاية لابن الأثير ذكره في مادة (ح م ر) ، ولم يذكر من خرجه . انظر : كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني ج١ ص ٣٧٤ . دار إحياء التراث العربي .

وفي كمال الإيمان ، وأفنان الآخرة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب الشر قال سيدنا رسول الله ﷺ « إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[1].

وقيل : الأفنان جمع فن بمعنى النوع ولذا استعمل في العرف بمعنى العلم .[2]

ثنى ﴿ جنتان ﴾ وكذلك ﴿ أفنان ﴾ فالعلمان الشريفان اثنان القرآن الكريم ، وعلم البيان الذي أفرد سبحانه ــ سورة ( الرحمن) ، قال ﷺ « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ »[3] .

قال تعالى : ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ ﴾ ، ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ إعادة ذكر المحبوب محبوب .

وقيل : إن في كل واحدة عين واحدة كما مر، ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ كل واحدة منهما زوج أو في كل واحدة منهما من الفواكه زوجان ، ويحتمل أن يكون المراد مثل ذلك أي في كل واحدة من الجنتين زوج من كل فاكهة ففيهما جميعاً زوجان من كل فاكهة ، وهذا إذا جعلنا الكنايتين فيهما للزوجين ، أو تقول : من كل فاكهة لبيان حال الزوجين ، وقال عند ذكر الأفنان ، ثم ذكر العينين بين الأمرين المتصل أحدهما

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ كتاب الحج باب تكفين المحرم ج٢ص٣٩٩ دار القلم – دمشق الطبعة : الأولى ١٤١٣ هـ – ١٩٩١ م تحقيق : د. تقي الدين الندوي أستاذ الحديث الشريف بجامعة الإمارات العربية المتحدة.

(٢) ينظر : روح المعاني ١١٧/٢٧ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل ج٣ ص١٢٧٥.

بالآخر نقول : جرى ذكر الجنة على عادة المتنعمين ، فإنهم إذا دخلوا البستان لا يبادرون إلى أكل الثمار بل يقدمون التفرج على الأكل ، مع أن الإنسان في بستان الدنيا لا يأكل حتى يجوع ويشتهي شهوة مؤلمة فكيف في الجنة فذكر ما يتم به النزهة وهو خضرة الأشجار، وجريان الأنهار ، ثم ذكر ما يكون بعد النزهة وهو أكل الثمار ، فسبحان من يأتي بالآي بأحسن المعاني في أبين المباني[1] .

وقيل : في وصف الجنتين إحداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين ولبن لم يتغير طعمه قال تعالى : ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [2].

قيل كل واحدة منهما مثل الدنيا أضعافاً مضاعفة[3].

وقيل : ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ بالخير والرحمة والكرامة والبركة والزيادة من الله[4].

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿فِيهِمَا﴾ أي في البساتين[5].

﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ صنفان أحدهما معروف في الدنيا ، والآخر غريب عنها مثلاً تفاح دنيوى ، وتفاح أخروى[6].

---

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٩ / ١٢٦ .

(٢) سورة محمد ﷺ آية : ١٥ .

(٣) فتح القدير ٥/ ١٨٦ .

(٤) تفسير ابن عباس ص٤٥ .

(٥) المرجع السابق ص٤٥ .

(٦) جامع البيان في تفسير القرآن ١١ / ٩٣ .

في قوله ﴿عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ماء عذب رقراق سلسبيل مُتدفق من العيون الجارية[1].

وقيل : جمع العذاب جملة، وفصل آيات الثواب ترجيحاً لجانب الرحمة على جانب العذاب ، وتطييباً للقلب وتهييجاً للسامع[2] .

وقيل : جنتان رطب ويابس[3] .

وقيل : ﴿عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ من جبل من مسك إحداهما في الأعالي والأخرى في الأسافل .

وقال : الحسن تجريان بالماء الزلال إحداهما التسنيم ، والأخرى السلسبيل[4] .

﴿عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ فماؤهما غزير ، وسهل يسير[5] .

من كل فاكهة زوجان ، فاكهة ممنوعة كثيرة ، وفي الحديث قيل : لسيدي رسول الله ﷺ "هذه البطائن من استبرق كيف الظهائر قال هى من نور يتلألأ" .

ولو صح ذلك لم يجز أن يفسر بغيره .

وقيل : من سندس قال الحسن والفراء البطائن هى الظهائر ، وقال الفراء قد تكون البطانة هى الظهارة ، والظهارة هى البطانة لأن كلاً منها يكون وجهاً ، قال تعالى : ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *

---

(١) التفسير المبين ص٧١١ .

(٢) تفسير القرآن للقرآن ١٣ / ٦٩١ .

(٣) اللباب في علوم الكتاب ١٨ / ٤٣٥ .

(٤) تفسير البيضاوي ٢/٥٣٣ .

(٥) في ظلال القرآن ٦/٣٤٠٥٧ .

فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُدْهَامَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ *﴾[1] .

قال تعالى ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ تجتنيه قائماً وقاعداً ومضطجعاً ، لا يرد يده بعد ولا شوك ، وإن كانت الألف قد حذفت في اللفظ ﴿ وجنى﴾ قرئ : وجنى بكسر الجيم . والضمير في ﴿فِيهِنَّ﴾ عائد على الجنان الدال عليهن جنتان ، إذ كل فرد فرد له جنتان ، فصح أنها جنان كثيرة ، وإن كان الجنتان أريد بهما حقيقة التثنية ، وأن لكل جنس من الجن والإنس جنة واحدة ، فالضمير يعود على ما اشتملت عليه الجنة من المجالس والقصور والمنازل .

وقيل : يعود على الفرش ، أي فيهن معدات للاستماع .

وقيل : كل موضع من الجنة جنة ، فلذلك قال : ﴿ فِيهِنَّ ﴾ الظرف

---

(١) سورة الرحمن من الآيات : ٥٤ : ٧٨ .

أصله مصدر ، فلذلك وحد . والظاهر أنهن اللواتي يقصرن أعينهن على أزواجهن ، فلا ينظرن إلى غيرهم . قال ابن زيد : تقول لزوجها : وعزة ربي ما أرى في الجنة أحسن منك .

وقيل : الطرف طرف غيرهن ، أي قصرن عين من ينظر إليهن عن النظر إلى غيرهن[1] .

والآية ... ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ من الاشتقاق من اشتق اللفظ مزعه من لفظ آخر يشرط مناسبتهما معنى وتركيباً ؛ ومغايرتهما في الصفة .

قيل : إمَّا أن يشتق اللفظ من اللفظ ، أو اللفظ من المعنى وهذا الآتيان بألفاظ يجمعها أصل واحد ، ويكون معناه مشتركاً كما أن حروفه الأصول مشتركة فتزيد على معنى الأصل تغاير اللفظ بوجه لأن أصل كل واحد من الكلمتين غير أصل الأخرى فلفظه جنى من جنى الشئ يجتنيه إذ قطعه والجنة من جنة الله إذا ستره[2] .

﴿دَانٍ﴾ ، قريب ﴿ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ نساء قصرن الطرف على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم . لم يطمث الإنسيات منهنّ أحد من الإنس ، ولا الجنيات أحد من الجن .

وقيل : في صفاء الياقوت وبياض المرجان وصغار الدر : أنصع بياضاً .

قيل : إنّ الحوراء تلبس سبعين حلة ، فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء[3] .

﴿مُّتَّكِئِينَ﴾حال لقوله ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾ وجمع رعاية للمعنى بعد

---

(١) البحر المحيط ١٩٧/٨ ، ١٩٨ بتصرف .

(٢) المعجم المفصل ١٥١ ، ١٥٢ .

(٣) الكشاف ٤٩/٤ .

الإفراد رعاية للفظ .

وقيل : العامل محذوف أي يتنعمون متكئين .

وقيل : مفعول به بتقدير أعني والاتكاء من صفات المتنعم الدالة على صحة الجسم وفراغ القلب ﴿بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[1] وقال الحسن : البطائن هي الظهائر ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ الضمير لجنتان والعرب توقع ضمير الجمع على المثنى ولا حاجة إليه بعدما سمعت .

وقيل : الضمير للبيوت والقصور المفهومة من الجنتين أو للجنتين باعتبار ما فيهما مما ذكر ، شبه تمكنهن على الفرش بتمكن المظروف في الظرف وإيثاره للإشعار بأن أكثر حالهن الاستقرار عليها ويجوز أن يقال : الظرفية للإشارة إلى أن الفرش إذا جلس عليها ونزل مكان الجالس منها ويرتفع ما أحاط به حتى يكاد يغيب فيها كما يشاهد في فرش الملوك المترفهين التي حشوها ريش النعام ونحوه .كالضمير للآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش من قول امرؤ القيس :

مِن القاصِراتِ الطَّرْفِ لو دَبَّ مُحْوِلٌ
من الذَّرِّ فوق الإتْبِ منها لأثَّرا

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ﴾ حال من ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ وجيء بالحال صيغةَ جمع باعتبار معنى صاحب الحال وصلاحية لفظه للواحد والمتعدد، لا باعتبار وقوع صلته بصيغة الإفراد فإن ذلك اعتبار بكون ( مَن ) مفردة اللفظ[2] .

---

(١) سورة السجدة من الآية : ١٧ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٧ / ٢٦٧ .

وقيل : الظهارة من استبرق ما غلظ من الديباج .

وقيل : بطائنها من استبرق .

وقيل : ظواهرها من نور حاضر .

وقيل : ظواهرها من سندس وهو الديباج الرقيق ؛ وهذا يدل على نهاية شرف هذين الفرش(١) .

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ قيل : اللؤلؤةَ الكبيرةَ .

وقيل : المَرْجان حجرٌ أحمرُ .

وقيل : حجرٌ شديد البياض ، والمَرْجانُ أعجميٌّ .

وقيل : اللؤلؤ بناغريبٌ ، لم يَرِدْ على هذه الصيغة إلاَّ خمسةُ ألفاظٍ : اللُّؤلُؤ ، والجُؤْجُؤ وهو الصَّدْر، والدُّؤْدُؤ ، واليُؤْيُؤُ لطائر ، والنؤْجؤ بالموحَّدين ، وهو الأصلُ . واللؤلؤُ بضمتين والهمز هو المشهورُ، وإبدال الهمزةِ واواً سائغٌ فصيحٌ .

وقرئ "اللُّؤْلِؤ" بكسر اللام الثالثة ، وهي لغةٌ محفوظةٌ . ونَقَل عنه أبو الفضلِ " اللُّؤْلِيْ " بقَلْبِ الهمزة الأخيرة ياءً ساكنة كأنه لَمَّا كسَر ما قبل الهمزة قلبها ياءً استعلالاً . وقرئ " نخْرِجُ " بنون العظمة . واللؤلؤُ والمَرْجان في هذين القراءتَيْن منصوبان(٢) .

أراد أنها منكسرة الجفن خافضة النظر غير متطلعة لما بعد ولا ناظرة لغير زوجها ويجوز أن يكون معناه أن طرف الناظر لا يتجاوزها كقول المتنبي :

وخضر تثبت الأبصار فيه
كأن عليه من حدق نطاقا

---

(١) تفسير القرآن الجليل ١١٣/٤ ، ١١٤ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٤١/٦ .

والأكثرون على أول المعنيين اللذين ذكرناهما بل في بعض الأخبار ما يدل على أنه تفسير نبوي ، وفي بعض الآثار تقول الواحدة لزوجها : وعزة ربي ما أرى في الجنة أحسن منك فالحمد لله الذي جعلني زوجك وجعلك زوجي فلذلك وحد ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ وفيه إشارة إلى أن ضمير قبلهم للأزواج ويدل عليه ﴿ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾ وفي البحر هو عائد على من عاد عليه الضمير في ﴿ مُتَّكِئِينَ ﴾ وأصل الطمث خروج الدم ولذلك يقال للحيض طمث ثم أطلق على جماع الأبكار لما فيه من خروج الدم .

وقيل : ثم عمم لكل جماع .

وقيل : إن التعبير به للإشارة إلى أنهن يوجدن أبكاراً كلما جومعن ونفي طمثهن عن الأنس ظاهر وأما عن الجن فقال مجاهد والحسن : قد تجامع الجن نساء البشر مع أزواجهن إذا لم يذكر الزوج اسم الله تعالى فنفي هنا جميع المجامعين وقيل : لا حاجة إلى ذلك إذ يكفي في نفي الطمث عن الجن إمكانه منهم ولا شك في إمكان جماع الجني إنسية بدون أن يكون مع زوجها الغير الذاكر اسم الله تعالى ويدل على ذلك ما رواه أبو عثمان سعيد بن داود الزبيدي قال :

" كتب قوم من أهل اليمن إلى مالك يسألونه عن نكاح الجن وقالوا : إن ههنا رجلاً من الجن يزعم أنه يريد الحلال فقال : ما أرى بذلك بأساً في الدين ولكن أكره إذا وجدت امرأة حامل قيل : من زوجك قالت : من الجن فيكثر الفساد في الإسلام ثم إن دعوى أن الجن تجامع نساء البشر جماعاً حقيقياً مع أزواجهن إذا لم يذكروا اسم الله تعالى غير مسلمة عند جميع العلماء .

وقال ضمرة بن حبيب : الجن في الجنة لهم قاصرات الطرف من

الجن نوعهم فالمعنى لم يطمث الإنسيات أحد من الإنس ولا الجنيات منهن الجن قبل أزواجهن .

وظاهره أن ما للجن لسن من الحور .

وقيل : إنهن من الحور وكذا الإنسيات ولا مانع من أن يخلق الله تعالى في الجنة حوراً للإنس يشاكلنهم يقال لهن لذلك إنسيات[1] .

﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ من القفية من قفاه وتقفاه تتبعه وقفيت على أثره بفلان أتبعته إياه[2] كناية عن العفة .

كما قيل : إشارة إلى عفافهن[3] .

وقيل : تلك القاصرات الطرف من نساء الدنيا لم يمسسهن منذ أنشئن النشأة الآخرة خلق قبل ، والذي يعطاه الإنس من زوجته المؤمنة التي كانت له في الدنيا ويعطي غيرها من نسائها المؤمنات أيضا وكذا الجني زوجته المؤمنة التي كانت له في الدنيا من الجن ويعطى غيرها من نساء الجن المؤمنات أيضا وبعيد أن يعطى الجني من نساء الدنيا الإنسيات في الآخرة ، والذي يغلب على الظن أن الإنسي يعطى من الإنسيات والحور والجني يعطى من الجنيات والحور ولا يعطى إنسي جنية ولا جني إنسية وما يعطاه المؤمن إنسياً كان أو جنياً من الحور شيء يليق به وتشتهيه نفسه ، وحقيقة تلك النشأة وراء ما يخطر بالبال واستدل بالآية على أن الجن يدخلون الجنة ويجامعون فيها كالإنس فهم باقون فيها مقيمين كبقاء المعذبين منهم في النار وهو مقتضى ظاهر ما ذهب إليه أبو يوسف ومحمد وابن أبي ليلى ، والأوزاعي وعليه الأكثر

---

(١) روح المعاني ٢٧ / ١١٨ بتصرف .

(٢) المعجم المفصل ص٤١٦ .

(٣) المرجع السابق ص٦٢٩ .

كالإنس يوم القيامة وعن الإمام أبي حنيفة ثلاث روايات الأولى أنهم لا ثواب لهم إلا النجاة من النار ثم يقال لهم كونوا تراباً كسائر الحيوانات، الثانية أنهم من أهل الجنة ولا ثواب لهم أي زائد على دخولها ، الثالثة التوقف قال الكردي : هو في أكثر الروايات وفي فتاوى أبي إسحاق بن الصفار أن الإمام يقول : لا يكونون في الجنة ولا في النار ولكن في معلوم الله تعالى.

وقيل : عن مالك وطائفة أنهم يكونون في ربض الجنة وقيل : هم أصحاب الأعراف وعن الضحاك أنهم يلهمون التسبيح والذكر فيصيبون من لذته ما يصيبه بنو آدم من نعيم الجنة وعلى القول بدخولهم الجنة قيل : نراهم ولا يرونا عكس ما كانوا عليه في الدنيا .

وفي المصباح : طمث الرجل امرأته طمثاً من باب ضرب وقيل افتضها واقترعها ، ولا يكون الطمث نكاحاً إلا بالتدمية.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ منصوب على المدح بفعل محذوف أو حال من قوله ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾ لأن من فيها بمعنى الجمع ، وقيل العامل محذوف أي يتنعمون ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ﴾ متعلقان بمتكئين ، و﴿بطائنها﴾ مبتدأ ﴿من استبرق﴾ خبر والجملة صفة الفرش ؛ والواو حالية أو عاطفة،﴿ وجنى ﴾ مبتدأ،و﴿الجنتين﴾مضاف إليه ؛ و﴿دان﴾ خبر وعلامته رفعه بالضمة المقدرة على الباء محذوفة لالتقاء الساكنين ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ خبر مقدم والضمير يعود على الجنتين إنس قبلهم ولا جان ، والآية كناية عن الشرف والرفعة[1] .

---

(١) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن تأليف شيخ الإسلام ١٩٩٩م .

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ إطناباً في التحسين[1] .

وقيل : عن الكسائي: التخييرُ بين الضم والكسر[2].

﴿إِنسٌ .. وَلَا جَانٌّ﴾ تتميم واحتراس وهو إطناب دعا إليه أن الجنة دار ثواب لصالحي الإنس والجن فلما ذكر ﴿إِنسٌ﴾ نشأ توهم أن يمَسهن جن فدفع ذلك التوهم بهذا الاحتراس[3].

﴿هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ تذييل للجمل المبدوءة بقوله ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ أي لأنهم أحسنوا فجازاهم ربهم بالإحسان[4].

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ بالزيادة والكرامة من الله تعالى على أهل الجنة .

وقيل : ﴿ عَيْنَانِ ﴾ مثل الدنيا أضعافاً مضاعفة ، حصباؤهما الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر ، وترابهما الكافور ، وحمأتهما المسك الأذفر ، وحافتهما الزعفران .

وقيل : إحداهما من ماء غير آسن، والأخرى من خمر لذة للشاربين.

﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ في الجنتين المذكورتين سميت العين بذلك فأدى الواحد والجمع ، كقولهم : قوم عَدْل وصَوْم : ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ بالجماع قبل أزواجهن هؤلاء أحد .

---

(١) التحرير والتنوير ٢٧/ ٢٧٠ .

(٢) المرجع السابق من نفس الصفحة .

(٣) المرجع السابق من نفس الصفحة .

(٤) المرجع السابق ٢٧ / ٢٧١.

وقيـل : إن الجن لا تطأ بنات آدم في الدنيا ، وذلك بأن الله تبـارك وتعالى وصف الحور العين بأنه لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان .

وقيـل : إن نساء الآدميات قد يطمثهن الجان ، وأن الحور العين قد برئن من هذا العيب ونزهن والله أعلم[1] .

﴿ دَانٍ ﴾ مثل غاز فأعل ، قال ابن عباس ﷺ : تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله إن شاء قائماً ، وإن شاء قاعداً .

وقيل : لا يرد أيديهم عنها بُعد ، ولا شوك[2].

ووحد الطرف مع إلى الجمع لأنه في معنـى المـصدر ، كمـا أن الترتيب في غاية الحسن لأنه يبين أولاً المسكن وهو الجنة ثم يبين مـا يتنزه به وهو البستان والأعين الجارية ، ثم ذكر المأكول فقال : ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ ثم ذكر موضع الراحة بعد الأكل وهو الفرش ، ثـم ذكر ما يكون في الفراش معه ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ لم يذكرهن باسـم الجنس وهو النساء ، بل بالـصفات فقـال : ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴾[3] ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً﴾[4] ﴿ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾[5] ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ ﴾[6] ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾[7] يدل على عفّتهن ، وعلى حسن المؤمنين في أعينهن ، فيحببن أزواجهن حبًّا يشغلهنّ عن النَّظر إلى غيرهم ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ يجوز أن تكون نعتاً .

---

(١) تفسير القرطبي ٥٣٣/٢ .

(٢) تفسير القرآن الجليل ١١٤/٤ ( متن ) .

(٣) سورة الواقعة آية : ٢٢ .

(٤) سورة النبأ آية : ٣٣ .

(٥) سورة الرحمن من الآية : ٥٦ .

(٦) سورة الرحمن من الآية : ٧٢ .

(٧) سورة الرحمن من الآية : ٥٦ .

١ــ هن قاصرات أبصارهن كما يكون شغل العفائف .

٢ــ بياناً لعظمتهن وعفافهن وذلك أن المرأة التي لا يكون لها رادع من نفسها ولا يكون لها أولياء يكون فيها نوع هوان ، وإذا كان لها أولياء أعزة امتنعت عن الخروج والبروز، وذلك يدل على عظمتهن ، وإذا كن في أنفسهن عند الخروج لا ينظرن يمنة ويسرة فهن في أنفسهن عفائف ، فجمع بين الإشارة إلى عظمتهن بقوله تعالى: ﴿مَّقْصُورَاتٌ﴾ منعهن أولياؤهن وههنا وليهن الله تعالى ، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾[1] وقوله عز وجل : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾[2] وبين الإشارة إلى عفتهن بقوله تعالى: ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ من تمام اللطف أنه تعالى قدم ذكر ما يدل على العفة على ما يدل على العظمة وذكر ﴿مَّقْصُورَاتٌ﴾ والذي يدل على أن المقصورات يدل على العظمة أنهن يوصفن بالمخدرات لا بالمتخدرات ، إشارة إلى أنهن خدرهن خادر لهن غيرهن كالذي يضرب الخيام ويدلي الستر ، بخلاف من تتخذه لنفسها وتغلق بابها بيدها ، وفيه دلالة عفتهن ويدل أيضاً على الحياء ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ﴾ عن الإمام جعفر الصادق أنه قال : حرت هذه الآية في الكافر والمؤمن والبر والفاجر ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ هذا التشبيه فيه وجهان :

١ــ تشبيه بصفائها .

٢ــ سجن بياض اللؤلؤ وحمرة الياقوت والمرجان صغار اللؤلؤ وهى أشد بياضاً وضياء من الكبار بكثير وفي هذا التشبيه بشارة إلى

---

(١) سورة البقرة آية :٢٥٧.

(٢) سورة محمد ﷺ آية : ١١ .

خلوصهن عن القبائح وصفائهن في الجنة فأول ما بدا بالعقليات وختم بالحبات والتشبيه لبيان مشابهة جسمهن بالياقوت والمرجان في الحمرة والبياض .

**وبعد الاستعانة بالله ـ عزوجل ـ أذكر بعض اللطائف التي تفيد البحث إن شاء الله :**

﴿ عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ على سبيل الحقيقة ، وفي كلمة ﴿ تجريان ﴾ مجاز قوى المعنى ووضحه وذلك لشدة نزول الدموع سريعة فكأنها تجرى والجري للدموع يدل على المعنى أكثر من التأني فهنا استعارة مكنية لأن الجرى من خصائص الإنسان حذف المشبه به وذكر المشبه وذكر له شئ من لوازمه وهو الجري على سبيل الاستعارة المكنية التي بينت المعنى ووضحته قال سيدى رسول الله ﷺ " عَيْنَانِ لاَ تَمسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ الله "[1].

قال تعالى : ﴿النَّجْمُ وَالشَّجَرُ﴾ عدد سبحانه إنعامه على خلقه بدءاً منذ السورة الشريفة وكل آية كما هو حال القرآن الكريم قد ذكر تعليم القرآن، وكذا البيان ، والشمس والقمر ، والنجم والشجر ، السماء والأرض ، الإنسان والجان ، المشرقين والمغربين ، البحرين ، اللؤلؤ والمرجان ، نار ونحاس ، النواصي والأقدام ، الجنتان ، الأفنان قال تعالى : ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[2] .

---

(١) سنن الترمذي لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، كتاب فضائل الجهاد باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله ج٤/ص١٧٥ الحديث عن عثمان وأبى ريحانة ،٥٧٣٦٣ دار الحديث .

(٢) سورة الذاريات آية : ٤٩ .

كما أن الحياة للتنعم لا للعذاب ، والنعم تستوجب الشكر قال تعالى ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾[1] ففي السورة معظمها أسلوب الطباق البديع لأن الضد يظهر حسنه الضد ، فلا يعرف النهار إلا حينما نرى الليل ، وهذا الأسلوب من الأساليب الحسنة ذات التأثير القوى في النفس وهذا الأسلوب كانت تستعمله العرب الخلص عفو الخاطر بلا تكلف ؛ (مع مراعاة المشاكله بينهما حتى لا يكون أحدهما اسماً والآخر فعلاً وحرفاً ، بل يكونان إما من اسمين أو من فعلين) [2]، وعبر بقوله﴿تَجْرِيَانِ﴾ على عادة العرب الخلص في الوصف فالجريان أحسن من المشى كما قال تعالى ﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾[3] وجمع ﴿ذَوَاتَا﴾ ولم يقل {ذاتا} لبكاء العينين لا عين واحدة ، ولأن القرآن الكريم تشريع محكم دقيق في كل وقت وحين في كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وقدم ﴿مِن كُلِّ﴾ التي تفيد العموم والشمول عدا الملائكة للعبادة فقط والاستغفار للثقلين، وعبر بقوله:﴿مُتَّكِئِينَ﴾ وقدم على فرش أي نصب له متكئاً ؛ وهو موضع الاتكاء وذلك من قولنا : توكأ على العصا[4].

﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ يلحق بالجناس أي تجمعهما المشابهة ما يشبه الاشتقاق[5] .

---

(١) سورة لقمان من الآية : ١٢ .

(٢) المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعانى د / إنعام ص٥٩٦ .

(٣) سورة يونس من الآية : ٢٢ .

(٤) مختار الصحاح مادة ( وكأ ).

(٥) عروس الأفراح ٢/٢٩٢ ، ولغية الإيضاح ٤/ ٧٤ .

والتثنية للمبالغة ولمراعاة رؤوس الآي ــ قال تعالى : ﴿فِيهِنَّ﴾ حرف خافض بمعنى الوعاء[1] أى لا ينظرن لغير أزواجهن عفة وتقوى من الله عز وجل ﴿ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ كرام النسب من الأب والأم[2].

وأتى بلم حرف جزم لنفى المضارع وقلبه ماضياً كقول الله ــ عز وجل ــ أى لم يطمثهن إنس قبل أزواجهم ولا جان فالمعنى الشريف يستحق اللفظ الشريف ، وفي الآيات الترتيب البديع ، والإرصاد المتسق ، والآية من قصر الصفة على الموصوف قصراً حقيقياً تحقيقياً من أبلغ أنواع القصر.

وقدم الإنس على الجان لتقدم الإنس في الرتبة من أجل خير خلق الله كلهم ﷺ والطباق في الآيات يوضح المعنى ويظهره بلا لبس ، ثم أتى بلفظ المضارع ﴿ يَطْمِثْهُنَّ﴾ لاستحضار الصورة الماضية وكذا للاستقبال ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ وذلك كناية عن الشرف وبيان لتعداد النعم من المنعم ــ عز وجل ــ وفي ذلك لطيفة هامة حيث جعل الله تشريعه الحكيم أساس الحياة لأن طبيعة كل من الإنس والجن مختلفة ، فالجن نارى ، والإنس من صلصال من حمأ مسنون .

﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ وهذا التشبيه أفاد تجسيد المعنى وإحضاره بعينه في ذهن السامع لجعل المعنوى حسياً، للتوضيح والبيان ، وذلك لمن خاف مقام ربه والمثول بين يدي الواحد الأحد من له الملك والملكوت ، العز والجاه ، وخص الياقوت والمرجان لشدة النقاء يظهر ما تحت الجلد وذلك لا يكون إلا بالطهارة عن أبى هريرة ﷺ قال : سَمِعْتُ

---

(١) مختار الصحاح مادة ( فيا ) .

(٢) المرجع السابق مادة (طرف ) .

رسول الله ﷺ ، يقول : " إنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ "[1].

وعطف المرجان كبار اللؤلؤ على الياقوت صغار اللؤلؤ باعتبار أن التقوى منهم ومن آبائهم ، وفيه دلالة على أن نقاء الروح فيه نقاء للقلب : قال سيدنا رسول الله ﷺ " فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ..... أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ "[2].

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾[3] هل جزاء من أعطى وأغدق ، منح وتجاوز ، وصفح ووهب ، وأكرم وأنعم ، إلا التوحيد والذكر والشكر [ لا إله إلا الله سيدنا محمد ﷺ رسول الله حقاً وصدقاً الصادق الوعد الأمين ] .

١ــ إثبات الحسن وإيجاده ﴿ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾[4].

الإتيان بالحسن كالاظراف والاغراب يقال بفلان لا يحسن الكتابة ولا يحسن الفاتحة أى لا يعلمها والظاهر أن الأصل في الإحسان الوجهان الأولان ، والثالث مأخوذ منهما وهذا لا يفهم إلا بقرينة الاستعمال مما يغلب على الظن إرادة العلم وعلى ذلك يمكن حمل الإحسان في الموضعين على معنى متحد من المعنيين ، وليمكن حمله فيهما على معنيين مختلفين ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ هل جزاء من أتى بالفعل الحسن إلا أن يؤتى في مقابلته بفعل حسن ، لكن الفعل الحسن من العبد ليس كل ما

---

(١) رياض الصالحين حديث رقم ١٠٢١ ص٢٧٢ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه ج١ ص٢٨ وصحيح مسلم في كتاب المسافات باب أخذ الحلال وترك الشبهات ج٥ ص٥٠ .

(٣) سورة الرحمن آية : ٦٠ .

(٤) سورة طه الآية رقم : ٥٠ .

يستحسنه العبد بل الحسن هو ما استحسنه الله منه ، فإن الفاسق ربما يكون العشق في نظره حسناً ، وليس بحسن ، بل الحسن ما طلبه الله منه قال تعالى : ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾[1] ﴿ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾[2] .

٢ــ هل جزاء من أثبت الحسن في عمل الدنيا بأمر الله إلا أن يثبت الله الحسن فيه وفي أحواله في الدارين ، وهل جزاء من أثبت الحسن فينا وفي أحوالنا إلا أن نثبت الحسن فيه أيضاً ، لكن إثبات الحسن في الله تعالى محال ، فنحسن أنفسنا بعبادة حضرة الله تعالى ، وأفعالنا بالتوجه إليه وأحوال باطننا بمعرفته تعالى ، وفي هذا البشارة ورد في الأخبار من حسن وجوه المؤمنين وقبح وجوه الكافرين .

٣ــ الحمل على المعنيين من أتى بالفعل الحسن إلا أن يثبت الله فيه الحسن ، وفي جميع أحواله فيجعل وجهه حسناً وحاله حسناً ، ثم فيه لطائف : وهذه الآية تدل على أن العبد محكم في الآخرة قال تعالى : ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ وتكون الإرادة هنا متعلقة بالرؤية ، فيجب بحكم الوعد أن تكون هذه آية دالة على الرؤية والله أعلم .

هذه الآية تدل على أن كل ما يفرضه الإنسان من أنواع الإحسان من الله تعالى فهو دون الإحسان الذي وعد الله تعالى به لأن الكريم إذا قال للفقير : افعل كذا ولك كذا ديناراً ، وقال لغيره افعل كذا على أن أحسن إليك يكون رجاء من لم يعين له أجراً أكثر من رجاء من عين له ، هذا إذا كان الكريم في غاية الكرم ونهاية الغنى، إذا ثبت هذا فالله تعالى قال :

---

(١) سورة الزخرف من الآية : ٧١ .

(٢) سورة الأنبياء من الآية :١٠٢ .

جزاء من أحسن إلى أن أحسن إليه بما يغبط به، وأوصل إليه فوق ما يشتهيه فالذي يعطي الله فوق ما نرجوه وذلك على وفق كرمه وإفضاله[1] .

وقيل : "هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي إلا أن أسكنه جنتي وحظيرة قدسي برحمتي"[2] .

وقيل : هل جزاء الإحسان في العمل إلا الإحسان في الثواب .

وبعد الاستعانة بالله ـ عز وجل أذكر بعض اللطائف التي تفيد البحث إن شاء الله تعالى :

﴿هل﴾ حرف استفهام يطلب به التصديق دون التصور ويكون الفعل معها مستقبلاً وذلك تصديقاً لقوله سبحانه ﴿الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ مُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[3] ولقول سيدنا رسول الله ﷺ "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ"[4] .

والاستفهام هنا للموحدين بمعنى التصديق ، وقد يأتي بمعنى الإنكار والتقريع لمن يخالف قال تعالى :﴿ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾[5] فهنا قصر حقيقي تحقيقي من قصر الصفة على الموصوف وحده لا شريك له.

---

(١) الفخر الرازي ٢٩ / ٣٢ ، ١٣٤ بتصرف .

(٢) تفسير القرآن الجليل ٤/١١٤ بتصرف .

(٣) سورة البقرة آية : ١ ، ٢ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب ما جاء أن الأعمال بالنية الحسنة ولكل امرىء ما نوى ج١ ص٣٠ .

(٥) سورة القصص من الآية : ٧٧ .

قال الصادق : هل جزاء من أحسنت إليه في الأزل إلا حفظ الإحسان إليه في الأبد[1] .

ولأنه يقال الجزاء من جنس العمل ، وقدم الجزاء لأهميته في إقامة العدل القائم على أساس ، ولأن العدل في أي مجتمع من المجتمعات يقام عليه الملك ، وأتى هنا بالإحسان الأول حقيقي والثاني بمعنى الجزاء فهنا مشاكله لفظية ، وأتى بـ﴿إلا﴾ التي تفيد الاستثناء و﴿هل﴾ لإفادة القصر ولأن جملة القصر بقوة جملتين لتمكن الكلام في الذهن وتقريره وتوضيحه وتوكيده ولأنه كدعوى الشئ بالبينة والدليل .

وفي كلمة الإحسان لفظ موحي بالخير والرحمة وإن نفع شئ في الدنيا فبرحمة الله ــ عز وجل ــ وبرضا حبيب رب العالمين خير خلق الله أجمعين صلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، ويكون الإحسان من الإنسان على المعنى الثاني لأن الأول حقيقي من الله ــ عز وجل ــ قال جدي رسول الله ﷺ [ تحفظ الراس وما وعى ، وتحفظ البطن وما حوى وتذكر الموت والبلى ][2] لذا يقول ــ عز وجل ــ ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[3] .

وفي الآية الترتيب الحسن البديع ، والنسق العجيب ، وفي الآية البشارة للموحدين ورحمة الله بعباده الصالحين .

قال تعالى : ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[4] .

من دون البستانين الأولين قيل : إن هاتين دون تينك في المنزلة

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ٦ /٥٤ .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سورة البقرة من الآية : ١٠٥ .

(٤) سورة الرحمن آية : ٦٢ ، ٦٣ .

والقدرة ، والأوليان جنتا السابقين ، والأخريان جنتا أصحاب اليمين قال الرماني قال ابن عباس ﷺ الجنات الأربع للخائف ﴿ مَقَامَ رَبِّهِ ﴾ وقال الحسن الأوليان للسابقين والأخريان للتابعين .

وقال ابن عباس ﷺ المعنى هما دونهما في القرب إلى المنعمين وهاتان المؤخرتان في الذكر أفضل من الأوليين يدل على ذلك انه وصف عيني هذه بالنضخ والأخريين بالجري فقط وجعل هاتين مدهامتين من شدة النعمة والأوليين ذواتي أفنان وكل جنة ذات أفنان وإن لم تكن مدهامة[1].

روى عن أبي موسى الأشعري أنه قال : جنتان للمقربين من ذهب وجنتان لأهل اليمين من فضة مما دون الأولين .

و ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ معناه قد علا لونهما دهمة وسواد في النضرة والخضرة كذا فسره ابن الزبير على المنبر ومنه قوله تعالى ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاء أَحْوَى﴾[2] والنضاخة الفوارة التي يهيج ماؤها.

وقال ابن جبير المعنى ﴿ نَضَّاخَتَانِ ﴾بأنواع الفواكه وهذا ضعيف.

وكرر النخل والرمان لأنهما ليسا من الفواكه .

وقيل : هما من أفضل الفاكهة تشريفاً لهما وإشادة بهما كما قال تعالى " وجبريل وميكال "[3] .

هاتان الجنتان تستوجبان الحمد والشكر لله رب العالمين ﴿عَيْنَانِ

---

(١) المحرر الوجيز ١٥ / ١٤٧ .

(٢) سورة الأعلى من الآية : ٤ ، ٥ .

(٣) المحرر الوجيز ١٥ / ٣٤٨ .

نَضَّاخَتَانِ﴾[1] فوارتان ويقال : ممتلئتان بالخير والبركة والرحمة والكرامة والزيادة من الله ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ وذلك جزاء من خاف مقام ربه ، بأن نعبد الله كأننا نراه فإن لم نكن نراه فإنه يرانا فبلغ بذلك مرتبة الإحسان كما وصفها سيدنا رسول الله ﷺ فنالوا جزاء الإحسان من عطاء الرحمن[2].

﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ وفيه إشعار بأن الغالب على هاتين الجنتين النبات .

وقيل فوارتان بالماء ينضخان كل خير .

وقيل : { نَضَّاخَتَانِ } بالمسك والعنبر تنضخان على دور الجنة كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا .

وقيل : بكل خير[3] .

وقيل : الجنتان هما : جنة عدن وجنة النعيم ، والآخريان جنة الفردوس وجنة المأوى[4] .

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ قيل : إحداهما للحور العين ، والأخرى للولدان المخلدين ، ليتميز بهما الذكور عن الإناث[5].

﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ خص النخل والرمان تنبيهاً إلى ما لهما من الميزة عن غيرهما من الفواكه لأنهما يوجدان في الخريف والشتاء ، ولأنها فاكهة وإدام ، وقد جاء مثل هذا في قوله تعالى : ﴿حَافِظُواْ عَلَى

---

(١) في ظلال القرآن ٢٦ / ٣٤٥٨ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٥/١٠٣ .

(٣) روح المعاني ٢٧ / ١٢٢ .

(٤) فتح القدير ٥/١٨٨ .

(٥) تفسير القرطبي ١٧ / ١٨٣ .

الصَّلَوَاتِ والصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾[1] وقوله: ﴿وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾[2] ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[3] أى في تلك الجنات نساء خيرات الأخلاق حسان الوجوه ، روى الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت: " قلت لرسول الله ﷺ يا رسول الله أخبرنى عن قوله تعالى﴿ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ ؟ قال : ﷺ خيرات الأخلاق حسان الوجوه "[4] .

وقال الرازي : في باطنهن الخير وفي ظاهرهن الحسن ، وروى أن الحور يغنين نحن الخيرات الحسان ، خلقن لأزواج كرام ، صدق سيدى رسول الله ﷺ قال تعالى:﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[5] أى وهؤلاء الخيرات الحسان واسعة العيون من صفاء البياض حول السواد ، محبوسات في الحجال فلسن بطوافات في الطرقات والعرب يمدحون النساء الملازمات للبيوت للدلالة على شدة الصيانة[6] .

وقيل : الفاكهة نحو البطيخ وغيره من الأرضيات المزروعات وشجرية نحو النخل وغيره من الشجريات فهما متقابلان فأحدهما حلو والآخر غير حلو ، أحدهما حار والآخر بارد ، وأحدهما فاكهة وغذاء ، والآخر فاكهة ، وأحدهما من فواكه البلاد الحارة ، والآخر من فواكه البلاد الباردة ، وأحدهما أشجاره في غاية الطول ، والآخر أشجاره بالضد وأحدهما ما يؤكل منه بارز والآخر كامن، والآخر بالعكس فهما كالضدين

---

(١) سورة البقرة من الآية : ٢٣٨ .

(٢) سورة البقرة من الآية : ٩٨ .

(٣) سورة الرحمن الآية : ٧٠

(٤) سبق تخريجه .

(٥) سورة الرحمن الآية : ٧٢ ، ٧٣ .

(٦) تفسير المراغى ٢٩٥/٩ ، ٢٩٦ .

والخيرات جمع خيرة ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إشارة إلى عظمتهن فإنهن ما قصرن حجراً عليهن ، وإنما ذلك إشارة إلى ضرب الخيام لهن وإدلاء الستر عليهن،والخيمة كالبيت من الخشب ، حتى إن العرب تسمي البيت من الشعر خيمة لأنه معد للإقامة ، وفي ذلك إشارة إلى معنى في غاية اللطف ، وهو أن المؤمن في الجنة لا يحتاج إلى التحرك لشيء وإنما الأشياء تتحرك إليه فالمأكول والمشروب يصل إليه من غير حركة منه ، ويطاف عليهم بما يشتهونه فالحور يكن في بيوت ، وعند الانتقال إلى المؤمنين في وقت إرادتهم تسير بهن للارتحال إلى المؤمنين خيام وللمؤمنين قصور تنزل الحور من الخيام إلى القصور[1] .

عن ابن عباس قال : نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر ، وكرانيفها ذهب أحمر ، وسعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم ، ثمرها أمثال الغلال والدلاء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس فيه عجم[2] .

وحدثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة قال : نخل الجنة تفيد من أصلهما إلى فرعهما وثمرها أمثال الغلال ، كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى وإن مساءها لنحرى في غير إخدود والعنقود إثناء عشر ذراعاً ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ يعني النساء الواحدة خيرة على معنى ذوات خير وقيل خيرات بمعنى خيرات الواحدة خيره إن اطلعت من السماء لأضاءت لها ، ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر ، ولنصيف تكساه ، خير من الدنيا وما

---

(١) الفخر الرازي ٢٩ / ١٣٥ .

(٢) العجم النوى .

فيها"[1] .

﴿حِسَانٌ﴾ : أي حسان الخلق ، وإذا قال الله تعالى : ﴿حِسَانٌ﴾ فمن ذا الذي يقدر أن يصف حسنهن! وقال الزهري وقتادة : ﴿خَيْرَاتٌ﴾ الأخلاق ﴿حِسَان﴾ الوجوه. وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أم سلمة. وقال أبو صالح : لأنهن عذارى أبكار.

وقرئ ﴿خَيِّرَاتٌ﴾ بالتشديد على الأصل ، والمعنى ذوات خير.

وقيل:مختارات. قال الترمذي : فالخيرات ما أختاره الله فأبدع خلقهن باختياره،فاختيار الله لا يشبه اختيار الآدميين.ثم قال:﴿حِسَانٌ﴾ فوصفهن بالحسن فإذا وصف خالق الحسن شيئاً بالحسن فانظر ما هناك.

وفي الأوليين ذكر بأنهن ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾و ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ فانظر كم من الخيرة وهي مختارة الله ، وبين قاصرات الطرف.

وفي الحديث:"إن الحور العين يأخذ بعضهن بأيدي بعض ويتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بأحسن منها ولا بمثلها نحن الراضيات فلا نسخط أبداً ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً ونحن الخالدات فلا نموت أبداً ونحن الناعمات فلا نبؤس أبداً ونحن خيرات حسان حبيبات لأزواج كرام". أخرجه الترمذي بمعناه من حديث علي ﷺ ، وقالت أمنا السيدة عائشة رضي الله عنها : إن الحور العين إذا قلن هذه المقالة أجابهن المؤمنات من نساء أهل الدنيا: نحن المصليات وما صليتن،ونحن الصائمات وما صمتن، ونحن المتوضئات وما توضأتن، ونحن المتصدقات وما تصدقتن.

---

(١) أخرجه البخاري ١٩/٦ كتاب الجهاد والسير ، باب الحور العين وصفتهن (٢٧٩٦) والترمذي (١٦٠٥) من حديث أنس .

فقالت أمي السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها : فغلبنهن والله .

واختلف أيهما أكثر حسناً وأبهر جمالا الحور أو الآدميات .

وقيل : الحور لما ذكر من وصفهن في القرآن والسنة ، ولقوله عليه الصلاة والسلام في دعائه على الميت في الجنازة : " وَأَبْدِلْهُ زَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ" [1].

وقيل : الآدميات أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف ، وروي مرفوعا. وذكر ابن المبارك : وأخبرنا رشدين عن ابن أنعُم[2] عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن حيان بن أبي صلة قال : إن نساء الدنيا من دخل منهن الجنة فضلن على الحور العين بما عملن في الدنيا[3] .

وقد قيل إن الحور العين المذكورات في القرآن هن المؤمنات من أزواج النبيين والمؤمنين خلقن في الآخرة على أحسن خلق والمشهور أن الحور العين لسن من أهل الدنيا وإنما هن مخلوقات في الجنة ، لأن الله تعالى قال : ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ وأكثر نساء أهل الدنيا مطموثات ، ولأن النبي ﷺ قال: " إِنَّ أَقَلَّ سَاكِنِي الْجَنَّةِ النِّسَاءُ "[4] فلا يصيب كل واحد منهم امرأة ، ووعد الحور العين لجماعتهم ، فثبت أنهن من غير نساء الدنيا[5].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنائز باب الدعاء للميت فى الصلاة ج٣ ص ٥٩ .

(٢) القرطبي ١٧ / ١٨٧ ، ١٨٨ بتصرف .

(٣) كتاب الزهد لابن المبارك باب في صفة الجنة وما أعد الله فيها ص ٦٦.ط : دار الكتب العلمية – بيروت تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي .

(٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الرقاق باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء. ج٨ ص٨٨.

(٥) القرطبي ١٧ / ١٨٧ ، ١٨٨ بتصرف.

ومنه قول أبي حنيفة – رحمه الله – : إذا حلف لا يأكل فاكهة فأكل رماناً أو رطباً : لم يحنث .

﴿خيرات﴾ على الأصل والمعنى : فاضلات الأخلاق حسان الخلق[1].

﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ خبر للمبتدأ المحذوف كالجملة التى قبلها ، ويجوز أن تكون مستأنفة ، والكلام في ضمير الجمع هنا كالكلام فيه ﴿خَيْرَاتٌ﴾ قال أبو حيان : جمع خيرة وصف مبني على فعله من الخير كما بنوا من الشر فقالوا شره .

وقيل: لعله لأن أصل اسم التفضيل ألا يجمع خصوصاً إذا نكر ﴿حِسَانٌ﴾ الخلق والخلق .

﴿حُورٌ﴾ بدل من ﴿خَيْرَاتٌ﴾ ﴿ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ أى مخدرات .

يقال : امرأةٌ قَصيرة ومَقْصورة ، أي مخدرة ملازمة لبيتها لا تطوف الطرق قال كثير عزة :

وأنتِ التي حَبَّبْتِ كلَّ قصيرةٍ
إليَّ ولم تشعر بذاك القَصائرُ
عَنَيْتُ قصيراتِ الحِجالِ ولم أُرِدْ
قِصارَ الخُطا شَرُّ النساءِ البَحاتِرُ

والنساء يمدحن بملازمتهن البيوت لدلالتها على صيانتهن كما قال قيس بن الأسلت :

وتكسل عن جاراتها فيزرنها
وتغفل عن أبياتهن فتعذر

---

(١) الكشاف ٤/٤٩ ، ٥٠ .

وهذا الحديث مأثور عن ابن عباس والحسن والضحاك وهي رواية عن مجاهد ﴿ مَّقْصُورَاتٌ ﴾ قلوبهن وأبصارهن ونفوسهن على أزواجهن ﴿فِي الْخِيَامِ﴾ عليه متعلق بمقصورات ، وعلى الثاني يحتمل ذلك ويحتمل كونه صفة ثانية لحور، والخيام بيوت من لؤلؤ قال : الخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة أربعة فراسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب .

وقيل : عن أبي الدرداء أنه قال : " الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون باباً من در " عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : "الْخَيْمَةُ دُرَّةٌ مُجَوَّفَةٌ طُولُهَا فِي السَّمَاءِ سِتُّونَ مِيلًا فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ لَا يَرَاهُمْ الْآخَرُونَ يطوفون بهم المؤمن ...."[1] الخ .

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

وقيل : ﴿ مَّقْصُورَاتٌ ﴾ محبوسات فالقصر في اللغة الحبس نقول هذا النصر المؤزر مقصور على الجيش الإسلامي أى محبوس عليه ومنه قوله : ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ ... ﴾ الخ.

أى محبوسات محجبات لا يتبذلن في شارع أو سوق ، والحجاب الذي يقصده الشارع ويصف به الحور العين هو البعد عن التبذل وأنهن مقصورات على أزواجهن لا ينظرن إلى رجال غيرهم ، قال ابن عباس رضي الله عنهما " الرمانة في الجنة ملئ جلد البعير المقتب " قال سيدنا رسول الله ﷺ « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ وَلاَ أُذُنٌ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج٣٢ص٣٤٧ تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون الطبعة ط : مؤسسة الرسالة ط: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. وقال المحقق : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

سَمِعَتْ وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ »[1] واقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[2] .

ووصفت الخيرات بالحسان تحقيقاً لكمال الخيرية فيها ،ومحضها للخير الخالص ، وعزلها عن الخير الذي يشوبه شئ مما يكدر صفوه إذ كثيراً ما ينوب الخير ما ليس منه ولهذا كانت هذه الخيرات الحسان التى تطلع على أصحاب هاتين الجنتين ــ آلاء ــ تحمد وتشكر على أية حال كانت عليها وعلى أى وجه تجئ به ، وحسبها أنها خيرات ، وخيرات حسان يكرم الله المكرمين من عباده في الجنتين العاليتين ﴿ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾ إشارة إلى ما في هؤلاء الحوريات من خفر ، وحياء ، وعفة وأن ذلك في أصل خلقهن،وفي قوله:﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ وحجبتهن عن العيون ؛ وحجبت العيون عنهن ، وهذا لا يمنع أن يكون لهن ما لأخواتهن من الخفر والحياء ، ولكن شتان بين خفر وحياء مطلقين ، وخفر وحياء مقصورين مقيدين ذلك قد امتحن وجرب ، فظل ثابتاً ، لم تنل منه التجربة والامتحان ، وهذا لم يمتحن ولم يجرب بعد !

﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ هو بدل مبين لقوله تعالى : ﴿خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ فالخيرات الحسان هن أولئك الحور المقصورات في الخيام ،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ج٣ص١١٨٥. وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ج٨ ص١٤٣ .

(٢) رياض الصالحين ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ باب بيان مَا أعدَّ اللهُ تَعَالَى للمؤمنين في الجنة حديث رقم ١٨٧٨ ، ١٨٨ ثم قرأ ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ*فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ حديث رقم ١٨٨٨ .

والحور جمع حوراء وهى ما طاف بمقلتيها طائف من السواد الطبيعى أسنة بالكحل يزيد العيون حسناً ويلقى عليها فتنة وسحراً يقول جرير :

إنّ العُيُـــونَ التـــي فـــي طَرْفِهـــا حَــوَرٌ
قَتَلْنَنَـــا، ثُـــمّ لَـــمْ يُحْيِـــينَ قَتْلانَـــا
يَـــصرَعنَ ذا اللُّـــبِّ حتـــى لا حَـــرَاكَ بِـــهِ
وَهُـــنّ أضْـــعَفُ خَلْـــقِ الله أرْكَانَـــا[1]

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[2] .

مقابل لقوله تعالى في وصف حلل أهل الجنتين العاليتين ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ الرفرف المسند ووصف بلفظ الجمع ﴿ خُضْرٍ ﴾ إشارة إلى أن لكل من أهل الجنة مسنداً خاصاً يتكئ عليه ، والمساند جميعها ذات لون واحد فهى مفردة في صفوفها جمع في لونها ﴿عَبْقَرِيٍّ﴾ الجيد من البسط الخارق للعادة في دقة صنعه .

وقيل : والعبقرى نسبة إلى عبقر ؛ وهو واد كانت العرب تعتقد في جاهليتها أنه موطن للجن ، وإلى الجن ينسب الأعمال الخارقه التى تتجاوز حدود الطلقة البشرية ومنه سمى العبقري وهو الذي يجئ في أفعاله بالخارق والمعجز لغيره وهنا فرق آخر يظهر في متكأ أصحاب كل من الجنتين العاليتين والجنتين الواقعتين تحتهما فعلى حين يتكئ أصحاب الجنتين الأولين على فرش بطائنها من ديباج ، وحشوها من حرير وعلى حين أن هذا الاتكاء لا يباعد بينهم وبين ثمر الجنة الذي يكون بين أيديهم

---

(١) ديوان جرير قصيدة بعنوان : يا حبذا جبل الريان ص٤٩٢ ط : بيروت ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م

(٢) سورة الرحمن آية : ٧٦ ، ٧٧ .

في أي وضع يكونون عليه ، كما يقول سبحانه ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ يكون متكأ أصحاب الجنتين الأخرين على رفارف أى مساند خضر لم تعرف المادة المشكلة منها أهى حرير أم غير حرير ، وأن عرف أن هذه المساند مبثوثة على بسط حسان ، كما لم يعرف إن كان هذا الاتكاء يباعد بين المتكئين وبين ثمر الجنة فلا تناله أيديهم إلا إذا غيروا من وضعهم واعتدلوا في جلستهم أم أنهم ينالونه من قريب ، فالتفرقة بين حال أصحاب الجنة هى أمر لازم يقتضى به المحسنين عدل الله ، فكما فرق هذا العدل بين المحسنين والمسيئين فأنزل هؤلاء الجنة وأنزل أولئك النار كذلك فرق هذا العدل بين المحسنين على أن يزدادوا إحسانا حتى لا يقصر بهم سعيهم ويسبقهم السابقون إلى الدرجات العالية ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا ﴾[1] .

وقيل : الرفرف هو مستقر بالولي على شئ إذا استوى عليه الولي رفرف به أى طار به حيثما يريد كالمرجاح[2] .

وقيل : عبقر وعباقر مثل عرفة وعرفات[3] .

الرفرف : رياض الجنة وقال آخرون هى المحابس[4] .

عن على عن ابن عباس في قوله ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ ﴾ يقول: المحابس .

وقيل : فضول المحابس والبسط[5] .

---

(١) سورة الأنعام من الآية رقم ٣٢ .

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٢٤٩/٦ .

(٣) روح المعاني ١٢٥/٢٧ .

(٤) وقف في سبيل الله .

(٥) كناية عن المرأة .

وقيل : فضول الفرش.

وقيل: هى المرافق وذلك من قوله تعالى ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً ﴾[1].

وقيل : العبقرى الطنافس الثخان[2] .

وقيل : هؤلاء المؤمنون الصادقون هم في جنات على فرش جميلة مرتفعة وعلى أبسطه بلغن الغاية في وصفها وجودتها وهى جماع واحدها العبقرية .

وقيل الزرابى[3] الحسان .

وقيل : العبقري: الديباج فبأي نعم ربكما التي أنعم عليكم من إكرامه أهل الطاعة منكم هذه الكرامة تكذبان .

قال تعالى ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ وبهذه الآية الكريمة نختم السورة الكريمة، حيث يلتقى ختامها مع بدئها هذا اللقاء المبارك الميمون الذي يزاوج بين رحمه الرحمن وكرم الكريم ، فلقد بدأت السورة بالاسم الجليل ﴿الرَّحْمَنُ ﴾ وختمت بالتبريك لهذا الاسم العظيم الذي يتجلى على عباده بجلاله وعظمته وكرمه ، فالرحمن الاسم الكريم الذي بدئت ـ به السورة والذي عرضت فيه آياتها آلاء الله ونعمة التي أفاضها على عباده ، وكان من حق كل نعمة منها أن يلقاها الثقلان بالحمد والشكر وإن كان حمدهما وشكرهما لا يقوم بحق نعمة منها ، ولهذا بارك الله نفسه ، وحمد ذاته ليجبر تقصير العباد وليؤدى عنهم هذا الدين الذي عجزوا عن آدائه حتى لا تنقطع منهم إمداد هذه النعم ، ولا يأخذهم بعجزهم وتقصيرهم عن آداء حق شكرها وحمدها فسبحانه سبحانه من

---

(١) سورة النساء من الآية : ٦٩ .

(٢) القرآن الكريم والتفسير الميسر لإمام الأكبر محمد سيد طنطاوى ٤٥٢ .

(٣) النمارق الوسائد قيل إنه الزرابى .

رب رحمن رحيم كريم يوالى النعم على عباده ، ثم يقوم سبحانه عنهم بآداء الشكر عليها والحمد لها وكررت هذه الآية ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إحدى وثلاثين مرة ذكر غايته منها عقب آيات فيها تعد عجائب خلق الله وبدائع صنعه، ومبدأ الخلق ومعادهم ، ثم سبقه منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبوب جهنم وبعد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنتين وأهلها على عدد أبواب الجنة ، وثمانية أخرى بعدها للجنتين اللتين دونهما فمن اعتقد الثمانية الأولى المذكورات في أول السورة وعمل بموجبها فتحت له أبواب الجنة وأغلقت عنه أبواب جهنم ونعوذ بالله من جهنم آمين[1]

قال ﷺ «أَلِظُّوا[2] بِيَا ذَا الجلال والإكرام»[3] الدعاء يقول ــ عز وجل ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ أى تنزه وتقدس وتنزه الله صاحب العزة والعظمة والتكريم ، على ما أنعم به على عباده المخلصين فهو سبحانه أهل أن يجل فلا يعصى ، وأن يكرم فيعبد ويشكر فلا يكفر وأن يذكر فلا ينسى،قال سابقاً بعد نعم الدنيا﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ للإشارة إلى فناء كل شئ من الممكنات؛ وقال بعد ذكر نعم الآخرة ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ للإشارة إلى بقاء أهل الجنة ذاكرين اسم الله متلذذين به[4].

وقيل:يشمل الإكرام بتعليم القرآن وغيره،والانتقام بإدخال النيران

---

(١) التفسير القرآن للقرآن ١٣ / ٧٠١ ، ٧٠٢ بتصرف .

(٢) ألظوا: ألظ بالشيء : إذا لازمه،يقول:لازموه،وثابروا عليه، وأكثروا من التلفظ بـذلك .

(٣) سنن الترمذي كتاب الدعوات ج٥ ص٥٤٠ وقال الشيخ الألباني تعليقاً على هذا الحديث : صحيح .

(٤) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ٢٧ / ٢٣٤ .

وغيرها[1] قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ من له الإكرام من جميع خلقه سيدنا محمد ﷺ من جميع خلقه[2]

لذا يجب علينا جميع المسلمين الموحدين حين نسمع المؤذن أن نقول مثلما يقول ثم ندعو الله سبحانه وتعالى لسيدنا رسول الله ﷺ فنقول: «اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ والدرجة العالية الرفيعة وَابْعَثْهُ اللهم الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي وَعَدْتَهُ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ »[3] صدق سيدى رسول الله ﷺ .

روى قتادة عن ابن عباس" الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ فيها أربعة آلاف مصراع من ذهب .

وقال أهل المعاني كنى عن الجماع في الدنيا بنحو قوله : ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ وذكر الجماع في الآخرة بلفظ يقرب من الصريح وهو الطمث فما الحكمة في ذلك والجواب أن المباشرة في الدنيا قبيحة لما فيها من قضاء الشهوة وإسقاط القوى وهى في الآخرة بخلاف ذلك فإنها داعية روحانية ولذة حقيقية ، فلم يحتج إلى الكناية لأن الكنايات تجرى في الهنيآت متكئين نصب على الاختصاص، ويجوز أن يكون حالاً والعامل مضمر يدل عليه قوله ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ﴾ أى يطمثونهن في حال الاتكاء .

وقيل : الرفرف كل ثوب عريض نزه نفسه عما لا يليق بجلاله وختم السورة عليه ، والاسم مقحم وفائدة هذا التوسط سلوك سبيل الكناية كما يقال ساحة فلان بريئة عن المثالب والله أعلم بحقائق كلامه .

---

(١) نظم الدرر ٤٠١/٧ .

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن ٩٥/١١ بتصرف .

(٣) صحيح البخاري كتاب الأذان باب الدعاء عند النداء ج ١ / ص ٢٢٢.

وقيل : فمن أين جاز عبقري حسان، وعبقري واحد وحسان جمع ، فالأصل أن واحده عبقرية ، والجمع عبقري ، نقول ثمرة وثمر ولوزة ولوز ويكون أيضاً عبقري اسماً للجنس فالقراءة هى الأولى[1] .

﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ ذو بركة ورحمة ، وتبرأ عن الولد والشريك ﴿ذِي الْجَلَالِ﴾ ذى العظمة والسلطان ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾ والتجاوز والإحسان[2] .

وقيل : الرفرف الرياض[3] قال عليه الصلاة والسلام " لَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا ، وَلَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحاً "[4] .

وقيل : الرفرف رياض الجنة من رف النبت نعم وحسن[5] .

قال القرطبي : وفي الخبر في وفاة سيدنا رسول الله ﷺ : فَرُفِعَ الرَّفْرَفُ فَرَأَيْنَا وَجْهَهُ كَأَنَّهُ وَرَقَةٌ تُخَشْخِشُ[6] .

قيل : ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾، وحسن حسنه هنا مقابلته لحسان الذي فاصلة[7] .

﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ أى تنزه وتقدس الله العظيم الجليل وكثرت خيراته وفاضت بركاته ﴿ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ صاحب العظمة والكبرياء

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٠٥/٥ .

(٢) الدر المنثور في لتفسير بالمأثور ٣٢٦/٥ ، ٣٢٧ .

(٣) فتح القدير ١٩٤/٥ .

(٤) أخرجه البخاري ١٩/٦ كتاب الجهاد والسير باب الحور العين وصفتهن حديث رقم (٢٧٩٦) والترمذي (١٦٠٥) من حديث أنس .

(٥) اللباب في علوم الكتاب ٣٦٢/١٨ .

(٦) المرجع السابق ١٨ / ٣٦٢ .

(٧) البحر المحيط ١٩٩/٨ .

والفضل والإنعام[1] .

وقيل : الرفرف هو شيء إذا استوى عليه الولي رفرف به ، أي طار به هكذا حيث ما يريد كالمرجاح ، وأصله من رفرف بين يدي الله عز وجل ، روي لنا في حديث المعراج أن سيدنا رسول الله ﷺ لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به إلى مسند العرش ، فذكر أنه قال : "طار بي يخفضني ويرفعني حتى وقف بي بين يدي ربي" ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به خفضاً ورفعاً يهوي به حتى أداه إلى جبريل صلوات الله وسلامه عليه وعلى جدى رسول الله ﷺ وجبريل يبكي ويرفع صوته بالتحميد ، فالرفرف خادم من الخدم بين يدي الله تعالى له خواص الأمور في محل الدنو والقرب ، كما أن البراق دابة يركبها الأنبياء مخصوصة بذلك في أرضه ، فهذا الرفرف الذي سخره الله لأهل الجنتين الدانيتين هو متكاهما وفرشهما ، يرفرف بالولي على حافات تلك الأنهار وشطوطها حيث شاء إلى خيام أزواجه الخيرات الحسان[2] .

يدل على أن المراد به وجه الله الذي يلقى المؤمنون عندما ينظرون إليه ، فيستبشرون بحسن الجزاء ، وجميل اللقاء ، وحسن العطاء. والله أعلم[3] .

ذكر جميع اللذات ــ سبحانه عز وجل ــ في الجنات ، ولم يذكر لذة السماع وهي من أتم أنواعها ، فقال : ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ يسمعون

---

(١) البحر المحيط ١٩٩/٨ .

(٢) تفسير القرطبي ١٧ / ١٩١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن الكريم ١٩١/١٧ .

ذكر الله تعالى[1] .

وهذا تعليم منه لعباده بأن كل هذا من رحمته فهو قد خلق السماء والأرض والجنة والنار ، وعذب العاصين وأثاب المطيعين وآتاهم من فضله ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[2] صدق جدي رسول الله ﷺ قال تعالى : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[3] في الدارين .

---

(١) الفخر الرازي ٢٩ / ١٣٨ .

(٢) تفسير المراغي ٣٩٦/٩ .

(٣) سورة الضحى آية : ١١ .

# الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم بما يحب ويرضى ، كما يحب ويرضى بما يليق بذاته وكماله من الإجلال والتحميد والتعظيم والتكريم وما يجب لحضرته سبحانه من الشكر والتوحيد لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد الأحد على ما أنعم وأعطى أغدق في العطاء من تنزه في الأقوال والأفعال والصفات من توحد في الجلال والكمال المطلق قال تعالى : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ صدق الله العظيم صاحب الفضل العظيم ، سبحانه الذي تقدست عن الأشياء ذاته وتنزهت عن مشابهة الأمثال صفاته واحد لا من قبله ، موجود لا من علة ، بالبر معروف بالإحسان موصوف ، أول بلا بداية ، آخر بلا نهاية ، لا ينسب إليه البنون ، ولا يفنيه مر الزمان ولا توهنه السنون ، كل المخلوقات قهر عظمته وأمره بالكاف والنون بذكره أنس المخلصون وبرؤيته تقر العيون، وبتوحيده ابتهج الموحدون ، هدى أهل طاعته إلى صراطه المستقيم ، وأباح أهل محبته جنات النعيم ، وعلم عدد أنفاس مخلوقاته بعلمه القديم يرى حركات أرجل النمل في جنح الليل البهيم ، يسبحه الطائر وتمجده الوحوش ، محيط بعمل العبد سره وجهره ، وكفيل المؤمنين بتأييده ونصره ، تطمئن القلوب الوجلة بذكره ، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره أحاط بكل شئ علما وغفر ذنوب المسلمين كرماً وحلما ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1] والصلاة والسلام على حبيب الله، حبيب الرحمن الرحيم أكمل الوجود خلقاً وخلقاً من أعطاه الله أسمى آيات السيادة ، ومراتب السعادة في أعلى عليين أسأل الله . عز وجل .

---

(١) مع الله مطبعة دار التأليف .

الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة لخير خلق الله أجمعين منذ بدء الخلق إلى يوم الدين من أباه عبد الله وجده خليل الله أكرم الأنبياء من لدن سيدنا آدم ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فلا يشبه أحد من العالمين إلا من ارتضاهم سيدا شباب أهل الجنة سيدنا الإمام الحسن بن على عليهم السلام وسيدنا الإمام الحسين بن على عليهم السلام ، من منه بحور العلوم وأسرار القرآن الكريم من به إعجاز الأولين والآخرين ، من علمه رب العالمين ، صاحب اللسان العربي المبين ، أعجز كل الخلائق فهم ما أودع فيه من أسرار ، وله تضاءلت الفهوم ، برزخ المعاني أبين العالمين ، فخر الدارين وأكمل الأنبياء والمرسلين ، أصل الأرواح الطاهرة الزكية ، عماد الحضرتين ؛ من أنزل عليه محكم التنزيل خاتم الأنبياء والمرسلين إجلالاً وتعظيماً وإكراماً وحباً ، من لا يعلم قدره إلا الحي القيوم الواحد الأحد الفرد الصمد إمام الأنبياء والمرسلين والمتقين وأهل التوحيد والأئمة ، من بهرت معجزاته العالمين وصل اللهم وسلم وبارك على أهل الله وخاصته آل بيت رسول الله ﷺ .

وضح . عز وجل . في سورة الرحمن كل ما يتلى في القرآن الكريم من أوله إلى آخره سورة الرحمن ملخصاً لما ورد في الكتاب العزيز فقد حوت السورة القواعد الأساسية ، والتشريع المحكم الدقيق للقرآن الكريم بدءاً من تعليم القرآن الكريم لأحب الخلق أجمعين صاحب القدر العظيم والبيان معجزة القرآن الكريم وتعليمه ﷺ المؤمنين بأساس سليم بأن الله سبحانه أحب إلينا من كل المحبوبين قال ﷺ " أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ المرءَ لا يحبّه إلاّ لله . عز وجل . "[1] ثم اتباع الله . عز وجل . ورسوله الكريم في النهج القويم

---

(١) أخرجه البخاري، في صحيحه كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان ج١ ص ١٤.

بالذكر الحكيم ، ولأن الله ـ عز وجل ـ يحب أن يرى آثار نعمته على عباده المخلصين بأن يكون الله ـ عز وجل ورسوله الكريم منهاج حياة في الأوامر والتشريع والنواهي وكل ما ذكر في القرآن الكريم سبحانه الخلاق العظيم أبدع وأحسن وهدى وقدر ورحم فأعطى وغفر إن الله لا يخلف وعده لعباده الصالحين قال تعالى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ صدق الله العظيم

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ اللهم ولا بشئ من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد ولك الشكر ) لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ .

ومن خلال البحث في السورة عظيمة القدر من سور القرآن الكريم المعجزة الخالدة لحبيب رب العالمين ﷺ جليل القدر أذكر بعض الأمور الهامة من خلال تعايشي مع كلمات الله التامات المباركات أن نعلم بأن الله ـ عز وجل ـ تنزه في كل الأشياء والأمور والحالات والأقوال والتصرفات فلا يشبه الحوادث لأن كلامه قديم فسبحانه كلّ أي ذاته الشريفة فلا يجب أن نجعله جزءاً من علم على شخص لأن المخلوق ليس كالخالق لقوله عز وجل لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ .

أن العلم بالقرآن الكريم والبيان ضروريان بمعرفة وتوحيد الله عز وجل .

أن لسيدنا رسول الله ﷺ القدر العظيم فيجب إجلالاً وتعظيماً وتكريماً أن ندافع عن عقيدتنا عن دين الله عز وجل بكل ما أوتينا من قوة

وعن خير خلق الله أجمعين صاحب الشفاعة العظمى الذي يقول : أمتي أمتي" والذي يقول : "خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وأنا خَيْرُكُم لأَهْلي" ولنا في سيدنا رسول الله أسوة حسنة .

حب سيدنا رسول الله ﷺ حب وطاعة فرض على كل مسلم ومسلمة كأركان الإسلام الخمس بحب وطاعة وإجلال لأن حبه ﷺ وحب آل سيدنا رسول الله حباً لله الواحد الأحد وذلك لأن في حب سيدنا سول الله ﷺ وآل بيت رسول الله حب الله. عزوجل.

التعريف بالسيرة العطرة آل بيت رسول الله القدوة الحسنة .

والله أسأل أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن يكون لنا رحمة يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

د/ منى محمد على غيث
أ.م البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنات بسوهاج .

# فهرس المصادر والمراجع


١ـ القرآن الكريم.

٢ـ الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ط : ثالثة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م دار التراث.

٣ـ أسرار التعبير في القرآن الكريم د/ هاشم محمد هاشم ط : أولى ١٩٩٤م.

٤ـ الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي دار القلم العربى أ.د/ ابتسام أحمد مراجعة وتدقيق أحمد عبد الله فرهود. دار القلم العربى بحلب ط : أولى ١٩٩٧م.

٥ـ إعراب القرآن الكريم وبيانه تأليف محى الدين الدرويشى. اليمامة دار بن كثير ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٦ـ إعجاز القرآن الكريم للقاضى عياض بشرح العلامة الشمنى مكتبة الآداب.

٧ـ الأقصى القريب للتنوخى ط : أولى ١٢٢٧هـ مطبعة السعادة.

٨ـ الإمام على عليه السلام من المهد إلى اللحد لمحمد كاظم القزوينى ط: ١١، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م مؤسسة الوفاء.

٩ـ بديع القرآن لابن المعتز عبد الله بن المعتز دار المسيرة ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

١٠ـ البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. بدون.

١١ـ بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادى بتحقيق أ/محمد على النجار المكتبة العلمية ـ بيروت لبنان.

١٢ـ بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح لعبد المتعال الصعيدى.

١٣ـ البلاغة الاصطلاحية د/ عبد العزيز قليقيلا كلية الآداب

جامعة الملك سعود دار الفكر للعرب.

١٤ـ البلاغة في خواتيم الآيات المنتهية بصفات الله تعالى ـ رسالة ماجستير د/ مرفت فرغلى ١٩٨٧م.

١٥ـ تاريخ المدينة المنورة. تأليف أبي زيد عمر بن سنة النميري البصري ط: دار الكتب العلمية.

١٦ـ تفسير ابن عباس قرآن كريم، تنوير المقباس في تفسير ابن عباس مكتبة الجمهورية دار المعرفة.

١٧ـ تفسير البحر المحيط ط: ثانية ١٩٩٠م أوحد البلغاء المحققين وعمدة النحاة والمفسرين أثير الدين ١٤١١هـ دار الفكر ـ دار التراث العربى بيروت ـ لبنان.

١٨ـ التفسير البغوى المسمى معالم التنزيل للإمام أبى محمد الحسين بن مسعود. دار المعرفة.

١٩ـ تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل في تأليف إمام المحققين وقدوة المدققين القاضى نصر الدين بن سعيد عبد الله بن محمد الشيرازى البيضاوي بتحقيق مجدى فتح الله وياسر سليمان أبو شامى المكتبة التوفيقية. بدون.

٢٠ـ تفسير التحرير والتنوير تأليف سماحة الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور. الدار التوفيقية.

٢١ـ تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادى. إدارة الطباعة المنيرية دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

٢٢ـ تفسير الشعراوى خواطر فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوي حول القرآن ١٩٩١م.

٢٣ـ تفسير الفخر الرازى المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب للإمام محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين. دار الفكر ١٩٨١م.

٢٤ تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل ومعاني التنزيل تأليف الإمام العلامة قدوة الأئمة علاء الدين محمد بن إبراهيم البغدادى. بدون.

٢٥ـ تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى مكتبه التراث الإسلامي١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٢م.

٢٦ـ التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب. دار الفكر العربى.

٢٧ـ التفسير المبين عز الدين للطباعة والنشر ١٩٨٣م.

٢٨ ـ تفسير المراغى تأليف صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير المرحوم أحمد مصطفى المراغى أستاذ الشريعة الإسلامية واللغة العربية بكلية دار العلوم سابقا. منشورات على بيضون دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

٢٩ـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للأستاذ وهبة الزحيلى دار الفكر بيروت ـ لبنان. بدون.

٣٠ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ١٩٦٦م.

٣١ـ جامع البيان في تفسير القرآن لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى. بدون.

٣٢ـ جمهرة خطب العرب للأستاذ أحمد زكى ط: أولى١٩١٣م مكتبة البابي الحلبى.

٣٣ـ جواهر البلاغة في المعانى ـ البيان البديع للسيد أحمد الهاشمى. مكتبة الآداب ١٩٩٩م.

٣٤ـ خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية لعبد العظيم المطعنى مكتبة وهبة ١٩٩٢م ـ ١٤١٣هـ.

٣٥ـ الدر اللقيط من البحر المحيط لتاج الدين أبى محمد ط: ثانية

١٤١١هـ ١٩٩٠م دار إحياء التراث العربي .

٣٦ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون تأليف : الإمام شهاب الدين بن عباس تحقيق وتعليق الشيخ على محمود معوض و الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ جاد مخلوف جاد ود/ زكريا عبد المعبد قدم له وقرظه د/ أحمد محمد صبره جامعة الأزهر .

٣٧ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام جلال الدين السيوطي وهامش القرآن الكريم مع تفسير ابن عباس ﷺ دار المعرفة. بدون .

٣٨ـ دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني بتصحيح الإمام الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية والأستاذ اللغوى المحدث محمد محمود التركزى الشنقيطي صحح طبعه وعلم على جوانبه الناشر : محمد رشيد رضا . بدون .

٣٩ـ روائع من أقوال الرسول دراسات لغوية وفكرية وأدبية تأليف عبد الرحمن حسين حنبلة الميدان ط:٥ـ١٤١٢هـ ١٩٩١م دار القلم .

٤٠ـ رياض الصالحين دار الندوة شارع الفاروق ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .

٤١ـ سر الفصاحة بن سنان الخفاجي ط: أولى صبيح ١٩٥٣م .

٤٢ـ سنن أبي داوود للإمام الحافظ المصنف المتقن أبى داوود سليمان الإزدى راجعه على النسخ محمد محى الدين عبد الحميد دار إحياء التراث العربى .

٤٣ ـ سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ط: دار الحديث .

٤٤ـ شذا العرف في فن الصرف أ/ الشيخ أحمد الحملاوى أستاذ العلوم العربية بدار العلوم .دار المعرفة .

٤٥ـ شرح صحيح مسلم الإمام أبى زكريا يحى بن شرف النووي الدمشقى بتحقيق هانى الحاج وعماد زكي البارودى . المكتبة التوفيقية أمام الباب الأخضر سيدنا الحسين .

٤٦ـ شعب الإيمان للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي

بتحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول . دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

٤٧ـ الصيغ البديعى د / أبو موسى . دار الكتاب العربي . بدون .

٤٨ـ صحيح البخاري فتح البارى شرح صحيح البخاري لشيخ الإسلام قاضي القضاة الحافظ أبى الفضل شهاب الدين أحمد بن على بن محمد بن حجر العسقلانى الشافعى ٨٥٢ـ ١٤٤٩ سنة ١٩٨٧م . ط: ٣.

٤٩ـ صفوة التفاسير تفسير القرآن الكريم تأليف محمد على الصابونى الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة جامعة الملك عبد العزيز دار الصابونى ط: أولى ١٩٩٧م ..

٥٠ـ الطراز العلوى دار مؤسسة منشورات نهران .

٥١ـ عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح للشيخ بهاء الدين السبكى بتحقيق عبد الحميد هنداوى . المكتبة العصرية بيروت ط: أولى ١٤٢٣هـ .

٥٢ـ علم البلاغة لعبد الحكيم حسن نعناع ١٩٦٧م ـ ١٣٨٧هـ .

٥٣ـ الفاصلة في القرآن د / محمد الحسناوى دار الأصيل .

٥٤ـ الفاصلة القرآنية ـ د / عبد الفتاح لاشين جامعة الأزهر الشريف أ/ مشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٩٨٢م .

٥٥ـ فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن تأليف شيخ الإسلام زكريا الأنصارى الشافعى دار الحمبلى ودار أحمد السابع ١٩٩٩م.

٥٦ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير بدون .

٥٧ـ فن البلاغة د / عبد القادر حسين مؤسسة الرسالة .

٥٨ـ في ظلال القرآن لسيد قطب . دار الشروق ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

٥٩ـ القرآن الكريم والتفسير الميسر لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ للأزهر ١٤٢٥هـ ـ ١٤٢٦هـ ،

٢٠٠٤م ـ ٢٠٠٥م.

٦٠ ـ كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر لأبي هلال الحسن العسكرى حققه وضبط نصه د / مفيد قميحة ط: أولى ١٩٨١م.

٦١ ـ الكتاب لسيبويه . الأميرية.

٦٢ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل من وجوه التأويل الزمخشري.

٦٣ ـ كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس . للعجلوني ط : دار إحياء التراث العربي.

٦٤ ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين علي المتقي ط : دار النشر الكتب العلمية بيروت ١٤١٩هـ ط: أولي.

٦٥ ـ لسان العرب لابن منظور ـ ط : دار صادر ـ بيروت.

٦٦ ـ اللباب في علوم الكتاب للإمام المفسر أبى حفص عمر بن علي . دار الكتب العلمية.

٦٧ ـ اللباب في علوم الكتاب الشيخ على محمد معوض . دار الكتب العلمية.

٦٨ ـ متشابه القرآن للقاضى عبد الجبار بتحقيق د / عدنان محمد زرزور . دار التراث ١١٨٥هـ القاهرة.

٦٩ ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر . ضياء الدين بن الأثير حققه الشيخ كامل محمد محمد عويضة . منشورات محمد على بيضون دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان.

٧٠ ـ مجاز القرآن صنعه أبو عبيدة معمر بن مثنى اليمنى عارض بأصوله وعلمه عليه د / محمد فؤاد سزكين . بدون.

٧١ ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي أبى محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي بتحقيق المجلس العلمي . بدون.

٧٢ ـ مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي مكتبة الثقافة الدينية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٧٣ـ مع الله . مطبعة دار التأليف بالمالية .
٧٤ـ معاني القرآن وإعرابه للزجاج شرح وتحقيق د/ عبد الجليل عبده شلبي علم الكتب ط: أولى ١٩٨٨م . بدون .
٧٥ـ المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبلاغة والمعانى د/ إنعام . دار الكتب العلمية ط: أولى ١٩٩٢م .
٧٦ـ مفتاح العلوم للإمام أبى يعقوب يوسف بن بكر محمد بن على السكاكي . دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ١٤٠٣هـ .
٧٧ـ مقدمة شرح نهج البلاغة للإمام كمال الدين ميثم البحرانى من البلاغة والخطابة وفضائل الإمام على تقديم وتحقيق د/ عبد القادر حسين بدون .
٧٨ـ من بلاغة القرآن أحمد أحمد بدوى . دار نهضة مصر للطبع والنشر .
٧٩ـ من بلاغة النظم العربى د/عبد العزيز عبد العال عرفة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .
٨٠ـ مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربى ضمن شرح التلخيص بدون .
٨١ـ الموطأ لإمام الأئمة وعلم المدينة مالك بن أنس تحقيق حامد أحمد الطاهر ط: جديدة مفهرسة الأحاديث دار فخر للتراث .
٨٢ـ النبأ العظيم د/ محمد عبد الله دراز ط : السعادة .
٨٣ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور . دار الكتب العلمية ١٩٤٥م للإمام برهان الدين أبو الحسن بتاريخ ١٤٢٩هـ ـ ١٩٩٥م .
٨٤ـ النكت والعيون تفسير الماوردى تصنيف أبى الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري راجعه السيد بن عبد المقصود . بدون . مؤسسة الكتب الثقافية .